الجمهوريـة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليـــم العالـــي والبحـــث العلمـــي

جامعـــة 8 ماي 1945 قالمـــة
كلية الحقوق والعلوم السياسية
قســـم العلـــوم السياسيـــة

Université 8 Mai 1945 Guelma
Faculté de Droit et des Sciences Politiques
Département des Sciences Politiques

مطبوعة بيداغوجية:

تاريخ الجزائر السياسي 1

محاضرات موجهة لطلبة السنة الأولى جذع مشترك

إعداد الأستـاذ: اليامين بن سعدون

2026

مقدمة

يقول مولود قاسم نايت بلقاسم في كتابه "شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830"مايلي: "**وما كنا في حاجة إلى الاستدلال على الشمس في رابعة النهار، لولا محاولات فصم عرى تاريخنا؛ ولولا اقتطاع فصول رائعة من سيرة امتنا؛ ولولا ميل إلى تمزيق صفحات ذهبية من سجل بلادنا**" هذا مقتطف للكاتب من دراسة يريد من خلالها إحكام الصلة بين حلقات سلسلة تاريخ الأمة الجزائرية العريقة، وإبراز ما كان لها من شخصية دولية متميزة ووجود دولي بارز وهيبة عالمية أطبقت الآفاق.

فيها يجيب عن أسئلة جحود ونكران للكثير من الساسة الفرنسيين لوجود امة جزائرية. فما على الذين ينكرون أو يجهلون من تكون هذه الأمة إلا قراءة التاريخ بإنصاف مجرد ومساءلة أزمانه والبحث في مصادره وإحداثه، حينها سيكتشف الإجابة التي جاءت على لسان شاعر الثورة العظيم **مفدي زكريا:**

أوقفت ركب الزمان طويـــــــلا أسائله عن ثمود وعـــــاد

وعن قصة المجد من عهد نوح وهل ارم هي ذات العمـــاد؟

فأقسم هذا الزمان يمـــــــينا وقال الجزائر دون عنـــــاد

مدخل: الأمة الجزائرية: الأصالة والعراقة

بدأت الملامح السياسية والاجتماعية للجزائر تتحدد تدريجيا منذ عصور ما قبل التاريخ، متأثرة بمحيطها الجغرافي والسياسي والاجتماعي والفكري الذي ساد إفريقيا وحوض المتوسط، حيث تفاعل السكان مع مختلف أحداث المنطقة، وهو الذي توثقه البقايا والشواهد الحضارية في أكثر من منطقة من ربوع القطر الوطني[1]، حيث تعتبر الجزائر مهدا لأحدى أقدم الحضارات الإنسانية في العالم بعد منطقة شرق إفريقيا، ولعل مواقع عين بوشريط وعين حنش بسطيف وتغنيف بمعسكر تؤرخ بما لا يدع مجالا للشك، بأن الجزائر تعتبر مهدا للتواجد البشري الذي يحظى بالاهتمام والدراسات الأنتروبولوجية عالميا، ناهيك عن حضارات العصور الحجرية العليا والدنيا التي ما تزال بقاياها وشواهدها ماثلة في اكثر من موقع، كمنطقة بئر العاتر ومعسكر وعين الصفراء والهقار والطاسيلي التي تروي انماط المعيشة والحياة ومختلف المعتقدات السكان[2].

الأكيد ايضا ان المنطقة عرفت تبادلا لبعض الهجرات من المشرق وشرق المتوسط وافريقيا، الأمر الذي نتج عنه نوع من التفاعل والتلاقح الثقافي والحضاري والتمازج البشري والاجتماعي، فبحسب ابن خلدون، ينتمي سكان شمال افريقيا الى العنصر السامي، ومن ابناء مازيغ بن كنعان بن حام ابن نوح[3]، كما اشار المؤرخ الاغريقي الكبير "هيرودوت" ان سكان الجزائر هم من الليبيين نسبة الى قبائل الليبو منهم من الرحل، ويرى المؤرخ "ساليست" ان سكان شمال غرب افريقيا الى غاية نهر ملوية هم مزيج من الليبيين والجيتوليين[4] الذين

---

1 الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الميثاق الوطني، 10،1986.

2 نفس المرجع.10

3 عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962،(الجزائر: البصائر للنشر والتوزيع، 2015).17.

4 الجيتوليون: هم اقدم الشعوب الأمازيغية (البربر) سكنوا شمال افريقيا الى الجنوب من الممالك النوميدية والى غاية اعماق الصحراء، عرفوا انهم دوو ميراس صعب عاشوا حياة الترحال وتربية المواشي والخيول، وكانوا مقاتلين اشداء، حاربوا الرومان الى جانب الملك يوغرطة، ولبسالتهم اوقفوا الاحتلال الروماني عند الهضاب العليا ومنطقة السهوب.

تمركزوا بالمناطق السهبية وشمال الصحراء5، كما عرفوا باسم البربر والتي تعني الأجنبي عند الاغريق والرومان، اي الغريب عن ثقافتهم وحضارتهم، وهي نفس اللفظة التي وُصف بها الاغريق عندما اكتسحهم الرومان[6]، وفي حقيقة الأمر، ومن منظور حضاري فان لفظة البربر على الرغم من التأويلات المختلفة لها، فهي تعبر عن تميز وتفرد في الشخصية الجزائرية التي تأبى الاندماج الثقافي او الانصهار الحضاري في الآخر، وهذا الذي صان الهوية وحافظ على الشخصية الجزائرية على الرغم من عمليات الغزو والاحتلال الأجنبي للمنطقة، والتي حمل فيها السكان لواء المقاومة لقرون عديدة.

وعليه، كان لهذا التميز في الهوية والشخصية، والاستعصاء على الاندماج والذوبان صناعة مقومات الكيان الوطني الجزائري جغرافيا واجتماعيا وسياسيا ونشوءا حضاريا مميزا ومنافسا، في هذا الفضاء من العالم القديم الذي بدأ يميّزه العداء والصراع بين مكوناته السياسية وخاصة من طرف الإمبراطوريات القائمة على التوسع والهيمنة.

---

5 Gilbert Menyier, L'Algérie des origines: de la préhistoire a l'avènement de l'islam(paris: la découverte, 2010).36.37.

[6]عمار بوحوش، المرجع السابق، 17.

المحور الأول: الجزائر في العصر القديم:

1/ ظهور الكيان الوطني: الجزائر النوميدية والعهد الفينيقي

تشير المعطيات التاريخية أن التطور البنيوي والسياسي للكيان الوطني قد نشأ مبكرا في بلاد المغرب، وكان ذلك بفضل تطور داخلي محض دون تدخل أجنبي، حيث نشأت الأسس الأولى للدولة الوطنية "نوميديا" من خلال مبادرات وطنية مشكلة لبداية تطور سياسي واجتماعي، حيث بدأت معالم هذه الدولة في الظهور والبلورة في ارض الواقع في القرن الثالث قبل الميلاد، على رقعة جغرافية مميزة وكيان وطني مستقل وسلطة حاكمة ذات سيادة كاملة، وقد تعبر المقولة الشهيرة للزعيم النوميدي ماسينيسا على ذلك "إفريقيا للأفارقة"[7].

بدأت الدولة/المملكة النوميدية في إرساء قواعدها السياسية على يد ملوك وطنيين امثال: "غايا، ماسينيسا، يوغرطة ومسيبسا" وحدث ذلك في سياق وظروف وطنية خالصة بعيدا عن أية مبادرة أو تنظيم روماني، بل تمكن هؤلاء الملوك من وضع أسس مملكتهم نتيجة وحدة القبائل وولائهم لتلك القيادات، ترجمة لهذا التطور السياسي والاجتماعي في إطار العصبية القبلية، التي وحدت ونظمت القبائل النوميدية، وما زاد هذا الالتفاف والوحدة هو قيام الصراع الروماني القرطاجي من اجل السيطرة على البحر المتوسط في إطار التوسع والمنطق الإمبراطوري، لكن لم يدم الحال طويلا ووجد ملوك نوميديا أنفسهم في مواجهة مع الرومان.

هذا السياق الجديد، فرض على ملوك نوميديا المواجهة مع الرومان ومع قرطاجة كقوتين كبيرتين في البحر المتوسط،وعلى الرغم من محاولات التحالف مع قرطاجة التي تجمعها مع الملوك النوميديين ومع النوميدين علاقات اجتماعية واقتصادية قوية، إلاأنها لم تفلح نظرا للاضطرابات السياسية على مستوى مملكة نوميديا بعد بداية الحروب البونيقية من جهة والضعف الذي دبّ مملكة قرطاجة المنشغلة في حروب طاحنة مع الرومان.

وهذه بعض الشواهد الحضارية

---

[7] احمد السليماني، تأملات في تاريخ الجزائر القديم: ظهور الكيان الوطني، مداخلة مقدمة في الملتقى الوطني الرابع المنظم من طرف جمعية التاريخ والمعالم الأثرية لولاية قالمة من الأول الى الرابع من افريل 1987.

مملكة نوميديا في أوج اتساعها

إيمدغاسن الجزائر

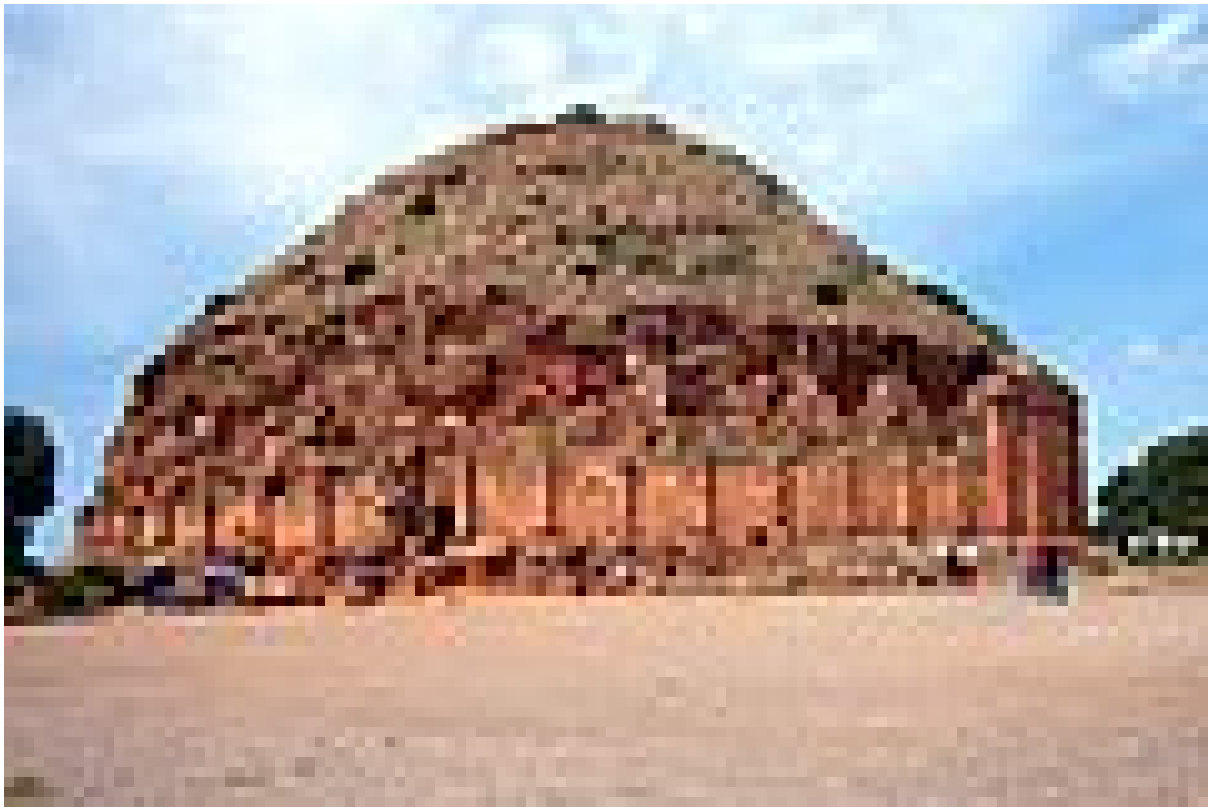

الضريح الملكي الموريتاني الجزائر

ضريح الملك ماسينيسا: الخروب

للإشارة قبل تحقيق الوحدة السياسية وقيام نوميديا الكبرى الموحدة، كانت تنقسم أساسا إلى مملكتين، هما مملكة ماصيليا " نوميديا الشرقية" وتنحدر أساسا من الأوراس وتركزت حول قسنطينة، ثم توسعت كثيرا لتشمل شمال شرق الجزائر اليوم، وكان من أعظم ملوكها " الملك ماسينيسا"، والمملكة الثانية هي مملكة ما صيصيليا " نوميديا الغربية" وهي الأكبر والأوسع من حيث المساحة حيث امتدت من حدود نوميديا الشرقية إلى غاية وادي ملوية، وكان من أشهر ملوكها الملك سيفاقس، الذي جمعته مصاهرة زواج من امرأة قرطاجية ارستقراطية" سفونيسب" بعد تقرب قرطاجة منه لأغراض سياسية[8].

خلال المرحلة الثانية من الحروب البونية كانت قيادة نوميديا الشرقية بيد الملك "غايا" الذي لم يوّرث الملك لإبنه الأكبر ماسينيسا مفضلا أخاه ثم ابن أخيه، الأمر الذي دفع ماسينيسا إلى التحالف مع الرومان لمساعدته على استعادة ملكه بعد غزو الملك سيفاقس لنوميديا الشرقية، وانتصر الرومان على قرطاجة في الحرب البونية الثانية بمساعدة ماسينيسا في معركة زاما الشهيرة سنة 202قم، مما مكن ماسينيسا من استعادة قرطة عاصمة نوميديا الشرقية، ثم التوسع على حساب نوميديا الغربية والتي أخضعها لحكمه وعمل على تطويرها زراعيا واقتصاديا وتجاريا، وأصبحت مملكته تمتد من طبرقة التونسية الحالية الى وادي ملوية، هذا الأخير الذي ظل حدا طبيعيا بين الجزائر والمملكة المغربية إلى غاية الاتفاقية المشؤومة " لالة مغنية 18/03/ 1845"[9].

كانت الدولة النوميدية الكبرى " الجزائر القديمة" قد عرفت تطورا من حيث التنظيم السياسي والإداري، إلا انه لم يبلغ المستوى التنظيمي الذي كان عليه الحال في قرطاجة التي بلغت تطورا سياسيا وإداريا لافتا ولوقت طويل، على عكس الدولة النوميدية التي كان النظام فيها يُستمد من نفوذ وسلطة القائد/الملك والذي كان يسمى "أقليد" الذي يجمع بعض صفات الشخصية الكاريزماتية كالقوة والجاه والشجاعة والحنكة والذكاء، وهي العوامل التي تجعل

8.نفس المرجع.

9اتفاقية/معاهدة ابرمت بين السلطات الاستعمارية الفرنسية وملك المغرب عبد الرحمان بعد هزيمة جيش الملك امام الفرنسيين في معركة ايسلي ولحمل ملك المغرب للتخلي عن دعم الأمير عبد القادر ومقاومته، في مغنية الجزائرية وبموجب هذه المعاهدة رسمت حدود المغرب في جزئها الشمالي الى ما وراء وادي ملوية الذي ظل حدا طبيعيا فاصلا بيم الدواتين لأكثر من الفي عام.

القبائل وزعمائها تلتف من حوله، مشكلة بذلك نوع من الاندماج القبلي الذي يصنع المملكة والقوة والتوسع.

على هذا المنوال كان يُصنع من القائد ملكا، وعقيدة التلاحم والتضامن متأصلة في المجتمع النوميدي القديم، وكانت سائدة حتى قبل ظهور ماسينيسا وسيفاقس، وذلك لمواجهةأي هجوم أو عدوان على القبيلة أو على احد فروعها، وكلما توطدت علاقة الملك/الاقليد بالسكان وأبان عن حنكته في القيادة وادارة الشأن العام.

على عكس النظام السياسي في قرطاجة الذي كانت تضطلع به مجالس وهيئات، كان القرار السياسي بيد الملك عند النوميديين، ويسري القرار على كل القبائل التي تنتمي للمملكة ولنفوذ الملك، ولم يكن الأمر يسيرا في ذلك نظرا لطبيعة القبائل النوميدية في عقيدتها التي تأبى الخضوع على الرغم من الصلات والقواسم المشتركة، وكلما طالت آماد الحكم "كحكم ماسينيسا مثلا 56 سنة" كلما دل ذلك على كاريزمية الملك وقوته، ويعين الملك الولاة والمسؤولين المحليين في مختلف جهات المملكة لتسهيل عملية التواصل بين الملك والقاعدة ولتسهيل إدارة شؤون المملكة وتجنيد المقاتلين أثناء الحروب، كما استحدث النوميديون مجالس لتسيير المدن للشأن ذاته.

عرف النوميديون عبر ممالكهم المختلفة تطورا اقتصاديا معتبرا خاصة في المجال الزراعي بعد ظهور الملكية الخاصة للأراضي، وانتعاش التجارة الحرة وضبط الضرائب وكانت تتعامل تجاريا مع شعوب المتوسط كالقرطاجيين والرومان، ولعل من بين العوامل التي أثارت حفيظة الرومان من نوميديا هو هذا التطور والتنوع في الإنتاج وجودته.

بالنسبة للفنيقيين،هم شعب سامي يعود نسبهم إلى كنعان بن لاود بن سام بن نوح عليه السلام، قدموا من جنوب شبه الجزيرة العربية واستقروا في بلاد الشام وشيدوا عدة مدن أهمها صيدا، صور وجبيل، اشتهروا بصناعة السفن وركوب البحر وممارسة التجارة، ولهذا الغرض، أسسوا العديد من المدن على سواحل المتوسط، وتمكنوا من إقامة علاقات وطيدة مع سكان شمال إفريقيا، أين كانت سفنهم ترسوا بالموانئ المتوسطية للتجارة والتزود بالمؤن أثناء الرحلات التجارية والاستكشافية لباقي سواحل المتوسط وإفريقيا.

من ابرز المدن المتوسطية التي أسسها الفنيقيون في شمال إفريقيا مدينة قرطاجة "قارط حدشت" أي المدينة الجديدة، ومدن جزائرية كثيرة مثل عنابة، بجاية، جيجل، تنس، وهران وشرشال[10]، ومن خلال هذا الاحتكاك المباشر مع السكان نشأت علاقات مميزة بين البربر والفنيقيين، ولكون الفنيقيون ليسوا بغزاة توطدت علاقاتهم بالسكان وسادها السلم والود المتبادل، مما ساهم في تعزيز الروابط الاجتماعية والمصاهرة، وانعكس ذلك ايجابيا على التطور التجاري والزراعي، مما ساهم في استتباب الأمن والاستقرار نسبيا، واستغل الفنيقيون ذلك في استغلال السكان اقتصاديا خاصة في أنشطتهم التجارية والزراعية، وقد استفاد السكان من الفينيقيين في بعض الأنشطة العلمية كنقل الأحرف الفينيقية والكتابة البونيقية والتقاليد الزراعية[11].

من ناحية أخرى فيما يتعلق بالعلاقات النوميدية الفينيقية، هو التعاون العسكري، الذي كان يقدمه الملوك النوميديون لقرطاجة وقت الحرب والاعتداء على قرطاجة خاصة من طرف الرومان، لأن قرطاجة كانت قد بنت توسعها ومجدها على مقاربات غير عسكرية، وبالتالي كان النظام العسكري فيها يشكل الحلقة الأضعف في بنية الدولة، وهي التي كانت سببا في سقوط قرطاج على يد الرومان سنة 146ق.م، وعلى الرغم من سلمية وتعاونية العلاقات النوميدية الفينيقية إلا أنها تخللتها بعض المحطات من الحرب في إطار صراع توسع ونفوذ، وكان في النهاية مدمرا لكلا الفريقين مقدما خدمة عظيمة لروما التي أضعفت الكل وسيطرت على شمال إفريقيا[12].

10صالح فركوس، المختصر في تاريخ الجزائر: من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814قم-1962)، (الجزائر: دار العلوم للنشر والتوزيع، 2002).15.

11نفس المرجع.15

12عمار بوحوش، مرجع سابق.23

2/ الاحتلال الأجنبي للجزائر:

في الوقت الذي كان الملوك النوميديون يصارعون على أكثر من صعيد للانتقال بالتطور الحاصل على المستويين الاجتماعي والسياسي إلى تأسيس الدولة ترجمة للكيان الوطني الجزائري، كانت روما قد بلغت من القوة والسطوة شأوا كبيرا، على اعتبار أنها قوة متوسطية كبيرة قائمة على الغزو والتوسع وهي تنشد العظمة والمجد الإمبراطوري، فما كان عليها إلا تدمير قرطاج القوة المنافسة والغريم المناوئ للتوسع الروماني، ثم وجهت روما إستراتيجيتها نحو الممالك النوميدية لإكمال عملية الإخضاع لشمال غرب إفريقيا.

أولا: الاحتلال الروماني 146 ق.م-429م:

بعد نهاية الحرب البونية الثالثة "149ق.م-146 ق.م"وتدمير قرطاج، فعلّت روما سياسة "فرق تسد" بين أمراء ما تبقى من ممالك شمال إفريقيا، ومنها الممالك النوميدية في الجزائر، وقد تميزت هذه السياسة بما يلي[13]:

- احداث الوقيعة والقطيعة بين رؤساء القبائل البربرية من خلال التنافس على الحكم ومناصرة البعض ضد البعض كسبا للموالاة والنفوذ؛
- التحالف مع بعض الأمراء النوميديين والاستعانة بهم لضرب خصوم روما؛
- تكوين جند موالي بامتيازات مغرية لحماية النفوذ الروماني في المنطقة.

وبالتالي احكم الرومان سيطرتهم على البحر المتوسط، وتزايدت أطماعهم التوسعية في بلاد المغرب وخاصة الجزائر، لأنهم بإستراتجيتهم هذه وضعوا الكثير من العراقيل والعقبات أمام تشكل الممالك النوميدية وتماسكها.

بعد وفاة **ماسينيسا** في قرطة/قسنطينة، خلفه ابناؤه (**مسيبسا أو مكيبسا ومستنبعل وغلوسا)**، ولم تكن العلاقة بينهم على ما يرام لوجود اليد الرومانية المفرقة والمشتتة للوحدة، وبالتالي تواصل ولاء الورثة للسلطة الرومانية بقيادة **سكيبيو** حاكم قرطاجة لوضع كامل المنطقة وخيراتها في خدمة روما ومشروعها التوسعي، وهذا ما جنى عليهم التمرد والنفور من طرف السكان[14].

---

13 نفس المرجع، 22

14مبارك بن محمد الميلي،تاريخ الجزائر في القديم والحديث،ج01، (الجزائر: دار الكتاب العربي، 2011).168

في سنة 118ق.م توفي**مسيبسا** فخلفه **أذربعل وهيمصال وابن اخيه يوغرطة بن مستنبعل**، وكان من العاجل البحث عن أنجع الطرق للحفاظ على الدولة ومواجهة المد الروماني المتواصل، فتخلص يوغرطة من ابني عمه الضعيفين وشرع في إعادة بناء الدولة مركزا على تجميع عوامل القوة والوحدة للحد من النفوذ الروماني، وشعورا من روما بخطر طموح يوغرطة وجهت له جيشا كبيرا سنة 112 ق م بقيادة القنصل **بيبستيا**، وكان النصر حليف يوغرطة، واعترفت له روما بالسلطة على كامل نوميديا، لكن تواطؤ **بوكوس/بوخوس**حاكم موريتانيا مع القنصل **سيلا** قائد الجيش الروماني أدى إلى هزيمة يوغرطة وسجنه في روما ومات هناك سنة 104 ق م[15].

بعد هزيمة يوغرطة قام الرومان بتقسيم مملكته إلى قسمين:

- نوميديا الغربية وسلمت **لبوكوس** المتحالف مع الرومان ضد يوغرطة؛
- نوميديا الشرقية سلمت **لغودا** شقيق يوغرطة، ولما توفي غودا سنة 88 ق م استطاع ابناه **هيمصال وماسينيسا الثاني** ان يستعيدا وحدة نوميديا بطرد بوخوس من نوميديا الغربية، ثم خلعا من الإمارة من طرف **هيرباص** سنة 81 ق م الذي دخل لعبة تحالف مع **ماريوس** ضد سلا كلفته الطرد من الإمارة وعودتها لأبناء غودا[16].

بعد وفاة هيمصال سنة 67 ق م خلفه ابنه **يوبا الأول** الذي سلك سياسة يوغرطة، وذلك بتكوين جيش وطني قوي لدحر الرومان والتخلص من سيطرتهم، لكن لعبة التحالفات بين الأطراف الرومانية المتصارعة والنوميدية المتواطئة كلفته الهزيمة والانتحار سنة 46 ق م، وعلى الرغم من محاولات **عرابيون** بن ماسينيسا الثاني من إحياء سياسة يوبا الأول إلا انه فشل وقتل سنة 42 ق م.

بانتحار يوبا الأول سنة 46 ق.م، يكون الرومان قد احكموا سيطرتهم على كامل المنطقة وضمها للإمبراطورية الرومانية، حيث سارع الرومان إلى تطبيق نظام تسيير خاص بتقسيم بلاد النوميديين الى قسمين بنمطين من التسيير[17]

أ. مدن خاضعة لتسيير مباشر من روما، وهي مدن رومانية وبلدية ولاتينية، بالنسبة للأولى فهي مدن رومانية خالصة يتمتع سكانها بجميع الحقوق السياسية والمدنية والاقتصادية،

15احمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، الطبعة الثانية، (الجزائر: المطبعة العربيةن 1931).14.

16صالح فركوس، مرجع سابق.23

17عمار بوحوش، مرجع سابق، 23.22

وبالنسبة للثانية، يتمتع سكانها بكل الحقوق ما عدا المشاركة فيالانتخابات، أما الثالثة، فيستفيد سكانها من حقوق اقتصادية ويدفعون الضرائب ولا يشاركون في الانتخابات.

ب. مدن موضوعة تحت سلطة روما، وهي مدن حليفة للرومان، ومدن حرة ومدن معفاة من دفع الضرائب، وتُسيّر هذهالمدن شؤونها بنفسها بصورة عامة لكن دائما تحت سلطة روما، وسكان هذه المدن هم الأكثر معاناة من السياسة التسلطية الرومانية، من نزع للأراضي وفرض الضرائب الباهظة والتجنيد الإجباري لأفرادها في الجيش.

كان لهذا التمييز والتسلط وقع كبير على السكان، الذين ثاروا ضد هذه السياسات في أكثر من منطقة في الجزائر، وفي فترات زمنية متباينة، ولعل أهمها ثورة تاكفاريناس بين سنة 17م و24م التي انطلقت من الأوراس وعمت كل منطقة شمال غرب إفريقيا، وسجل انتصارات باهرة على الرومان قبل سقوطه في ميدان المعركة بمنطقة سور الغزلان أمام قوة رومانية ضخمة مدعومة بقوات موريتانية.

وكانت المقاومة الثانية الأكثر بروزا وأثرا هي ثورة دوناتوس العظيم[18]،وهي حركة في ظاهرها ثورة دينية تصحيحية للمسيحية، لكن في باطنها ثورة على الظلم والبؤس الاجتماعي المسلط من طرف الرومان على السكان. كانت ثورة هذه الحركة كفيلة ببعث الفكر الثوري التحرّري في كامل شمال إفريقيا، مما كثف ووسع من المذابح الرومانية ضد الثوار والسكان، وبقي الحال كذلك إلىأن حلّت القبائل الوندالية بشمال إفريقيا لنجدة "بونيفاس" حاكم قرطاج سنة 429م.

ثانيا: الاحتلال الوندالي:429م-534م

الوندال قبائل جرمانية ينحدرون من القوط "Goths"أمة شديدة البأس وصعبة الميراس، سكنوا منطقة بحر البلطيق ثم انتشروا في ألمانيا وغزوا منطقة غالية/فرنسا، ووصلوا إلى اسبانيا سنة 409م، ولمّا قام الحاكم الروماني بعزل **بونيفاس**- كان متزوجا من وندالية- سنة 427م رفض التنحي وحارب جيوش بلاده، واستنجد بالوندال الذين عبروا مضيق جبل طارق في حوالي 80 ألفا بقيادة "جنسريق"، وساروا نحو الشرق يدمرون ويقتلون كل ما يصادفهم، وفي تلك الأثناء كان "القديس اوغستين" يقوم بمساعي صلح بين بونيفاس وحكومة روما التي تراجعت عن عزله في الأخير، لكن بعد فوات الأوان وعلى الرغم من محاولة بونيفاس إيقاف

18هو اسقف امازيغي ذو شخصية قوية قاد حركة دينية ثورية تحررية ضد الرومان، وانتخب اسقفا لقرطاج سنة 313م، توفي في منفاه بفرنسا سنة 347م، وعلى الرغم من ذلك استمرت حركته الدوناتية" الى غاية 411م

زحف الوندال، إلا انه انهزم أمامهم قرب قالمة، وفر بونيفاس إلى بونة وتحصّن بها إلى غاية 430م، ثم انهزم أمامهم مرة ثانية على الرغم من الدعم الذي وصله من روما سنة 431م، فترك بونة واتجه نحو روما، وبالتالي سيطر الوندال على الجزائر في مدة سنتين، واتخذوا من بونة/عنابة عاصمة لهم[19].

على الرغم من المعاهدة بين جنسريق وروما للإبقاء على السيادة الرومانية على إفريقيا، إلا أن جنسريق قد نقض المعاهدة وزحف على قرطاجة/تونس واستولى على البروقنصلية سنة 439م، واستمر الصراع بين الوندال وروما إلى غاية 455م عندما عبر جنسريق إلى روما وفتحها وعاث فيها فسادا، ثم عاد إلى قرطاجة وبالتالي انتهت سيادة الرومان على إفريقيا.

احتفظ الوندال بالتنظيمات الإدارية الموروثة عن الرومان، ولم يكونوا قوم حضارة ومدنية، بل كانوا غلاظا شدادا، الحقوا بالبلاد الخراب والدمار، وعلى الرغم من ثورات البربر إلا أنهم لم يتغلبوا على الوندال، إلى أن جاء البيزنطيون واستولوا على البلاد سنة 534م بعد معركة طاحنة بالقرب من العاصمة تونس بين القائد البيزنطي "بليزاريوس" والحاكم الوندالي "جيلمار" الذي أُسر وأُقتيد إلى القسطنطينية[20].

ثالثا: الاحتلال البيزنطي:

بعد توسع الإمبراطورية الرومانية وهيمنتها على حوض البحر المتوسط شرقا وغربا لم تعد الإمكانيات الإمبراطورية كافية للاستجابة لطموحات القادة، واشتد النزاع بين قادة القسطنطينية وروما، وانتهت بفوز إمبراطورية الشرق ودخل "قسطنطين" روما سنة 321م لتنظم روما إلى عاصمة الشرق، وبانهيارها سنة 476م على يد القبائل الجرمانية، حاول روم الشرق البيزنطيون استرجاع كل ممتلكات الإمبراطورية، فجهز القائد البيزنطي"بليزاريوس" حملة بحرية سنة 533م واستولى على تونس وقرطاجة ثم جهات قسنطينة وقالمة، وفي سنة

19يحي بوعوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، الجزائر القديمة والوسطى، ج1، (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1992).64

20عمار بوحوش، المرجع السابق.29

539م احتلوا الأوراس والحضنة وسطيف، ولم يحتل البيزنطيون ما تبقى من الجزائر إلا بعض الموانئ كبجاية، تنس وشرشال[21].

قسّم البيزنطيون الجزائر إلى قسمين هما: نوميديا وتضم الجهات الشرقية من الجزائر، وموريتانيا الثانية وتضم الموانئ المذكورة آنفا، وجعلوا لكل قسم رئيسا، وسلك البيزنطيون نفس السياسة والمعاملة مع قبائل البربر لتسخيرهم وإخضاعهم وتجنيدهم لخدمة الأرض، كما عملوا على إذكاء التفرقة والفتنة بين القبائل البربرية حفاظا على تفوقهم وسيادتهم، ولم يضف البيزنطيون إلى البلاد الكثير سوى بعض الطرق والحصون.

لم يكن البربر ليرضوا بهذا الخضوع، فثاروا ضد البيزنطيين مثل ثورة "بيداس" في الأوراس، واستمرت هذه الثورات بشكل متقطع، مما شجع بعض القادة البيزنطيين على الانفصال عن السلطة المركزية مثل"جرجير"الذي انفصل بإفريقيا[22]، لكن دولته لم تستمر طويلا لأن الفتوحات الإسلامية لشمال إفريقيا قد بدأت.

21محمد بن مبارك الميلي، مرجع سابق، 314.

22صالح فركوس، مرجع سابق.39.

المحور الثاني: الجزائر في العصر الوسيط.

أهم ما يميّز هذه المرحلة من عمر الدولة الجزائرية، هي الفتوحات الإسلامية لشمال إفريقيا وكذا الدول الإسلامية التي قامت بالجزائر أو من الجزائر لتشمل أجزاء واسعة من شمال غرب إفريقيا وفي أحايين أخرى الأندلس.

أولا. الفتح الإسلامي لبلاد المغرب:

كان الفتح الإسلامي لبلاد المغرب مرحلة جديدة بالنسبة لسكان المنطقة وعلى الرغم من رسالة الإسلام إلا أن السكان قد واجهوا الفاتحين بكل قوة وشراسة على اعتبار انه غزاة كسابقيهم، لكن بعدما عرفوا الحق وروح الرسالة اعتنقوها بكل إخلاص وأصبحوا من ناشريها ومن أكثر الأقوام دفاعا عنها.

1- **دوافع الفتح الإسلامي لبلاد المغرب:** بعد أن تمّ فتح مصر باتت تخوم العالم الإسلامي ملامسة لبلاد المغرب الذي كان حينها يخضع في معظمة للإمبراطورية البيزنطية، ويمكن إيجازأهم الدوافع في ما يلي:[23]

- رغبة عمرو بن العاص في فتح مدينة برقة لتأمين قاعدة الفوسطاط "القاهرة"في مصر من الاعتداءات البيزنطية؛
- إحباط المشاريع البيزنطية الموجهة من شمال إفريقيا والتي تستهدف مصر؛
- إرسال الطلائع الاستكشافية نحو بلاد المغرب للتعرف على السكان وطبائعهم ونمط حياتهم ودعوتهم إلى الإسلام قبل بداية عملية الفتح؛
- توسيع الرقعة الجغرافية لدولة الخلافة الإسلامية؛
- زيادة التعداد السكاني للدولة، لدعم جيوش الفتح وتوسيع أوعية الجزية والزكاة والخراج...

23رشيد بوروبة وآخرون، الجزائر في التاريخ، العهد الاسلامي من الفتح الى بداية العهد العثماني،(الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984).15.16.

2-**مراحل الفتح:** بصورة عامة تنقسم عمليات الفتح الإسلامي لبلاد المغرب إلى ثلاث مراحل رئيسة:

2-1. **المرحلة الأولى:** بدأت الفتوحات الإسلامية لشمال أفريقيا بقيادة عبد الله بن أبي سرح بأمر من الخليفة عثمان بن عفان سنة 28هـ /647م، التي تعتبر أول حملة فتح رسمية لبلاد المغرب، ولصيتها شارك فيها الكثير من الصحابة كعبد الله بن الزبير وابن العاص وابن مسعود وابن عمر[24]، حيث التقى جيش الفتح بالجيش البيزنطي بسبيطلة(بولاية القصرين بتونس)، في معركة فاصلة انهزم فيها جيش البيزنطيين وقُتل "جرجير" حاكم المدينة، ثم واصل جيش الفتح سيره إلى غاية مدينة قفصة التي قبل أهلها من الأفارقة بالصلح ودفع الجزية، ثم عاد القائد ابن أبي سرح وجيشه إلى مصرقبل أن يوطد أركان التواجد الإسلامي بالمنطقة، نظرا لبداية أحداث الفتنة الكبرى التي انتهت بمقتل الخليفة الثالث "عثمان بن عفان".

2-2. **المرحلة الثانية:** بعد استشهاد الخليفة عثمان بن عفان وحدوث الفتنة الكبرى، نقض البربر الصلح سنة 33هـ /654م، أرسل معاوية بن أبي سفيان القائد معاوية بن خديج الكندي لفتح أفريقيا سنة 45هـ/666م، ففتح جربة وبنزرت وسوسة وغزا صقلية ثم عاد إلى مصر.

3-**المرحلة الثالثة:** اسند معاوية بن أبي سفيان عملية مواصلة الفتح لأفريقيا إلى القائد الفاتح عقبة بن نافع الفهري سنة 50هـ/670م للتوسع في فتح أفريقيا، فأسس مدينة القيروان كقاعدة للجيش وعاصمة لأفريقيا التي ولي عليها عقبة، وبالتالي انفصال أفريقيا عن مصر.

ا. بعد تولى عقبة بن نافع شؤون إدارة أفريقيا، أسندت مهمة مواصلة الفتح إلى أبي مهاجر دينار، اتجه هذا الأخير نحو الجزائر عبر الهضاب العليا وشمال الصحراء، واتخذ من مدينة ميلة مركزا لإدارة العمليات العسكرية، ثم واصل عملية الفتح إلى أن بلغ تلمسان وانتصر على "كسيلة" زعيم قبيلة أوربة الذي ادعى الإسلام.

ب. عندما آلت الخلافة إلي الدولة الأموية أعيد تعيين عقبة بن نافع على أفريقيا سنة 62هـ/682م، حيث قام بتطهير الكثير من مناطق الأوراس من الروم، ثم واصل عملية الفتح إلى غاية طنجة، بعدها عاد إلى القيروان بصحبة أبي مهاجر دينار وحوالي 300

24نفس المرجع،16.

مقاتل، ولمّا كانت معاملة عقبة لكسيلة مخالفة لما كان عليه الحال مع أبي مهاجر دينار(هذا حسب بعض الروايات التاريخية، وهناك روايات أخرى تفند ذلك)، غدر كسيلة بعقبة، حيث راسل بعض جيوب الروم المتبقية لإقامة كمين لعقبة ومن معه جنوب بسكرة في منطقة تاهودة المعروفة حاليا باسم سيدي عقبة، حيث استشهد عقبة وكل من معه سنة 63هـ/683م.

ج. لما تولى الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان الحكم، اسند ولاية أفريقيا لزهير بن قيس البلوي سنة 69هـ/689م، سار هذا الأخير إلى القيروان وقتل كسيلة واستولى عليها، ثم استشهد زهير بعد وصول نجدة الروم سنة 69هـ/689م، وبعد استشهاد زهير بن قيس واستفحال قوة الروم والبربر، عُيّن حسّان بن النعمان سنة 74هـ/693م والذي بدأ بسرعة باسترداد المدن الواحدة تلو الأخرى، فسار إلى قرطاجة واستردها. ولمّا كان البربر قد التفوا حول "دهيا/ الكاهنة" في منطقة لأوراس، قصدها حسّان بن النعمان واشتبك معها في ضواحي خنشلة (وادي مسكيانة) حيث تقهقرت جيوشه نحو برقة، فقامت الكاهنة بحرق المنطقة ضنا منها أن المسلمين هم غزاة كالروم جلبهم الطمع وخيرات البلاد، وجنى عليها ذلك سخط الأهالي. بعدما وصل المدد للقائد الفاتح حسّان بن النعمان سنة 81هـ/700م وانضم الكثير من البربر إلى جيش الفتح قُضي على الكاهنة في منطقة الأوراس (بئر الكاهنة).

د. عندما آلت الخلافة للوليد بن عبد الملك أرسل موسى بن النصير سنة 86هـ/704م لاستكمال عملية الفتح، ففتح بعض المناطق بتونس وعاصمة الزاب (طبنة)، واخضع قبائل البربر هوارة وزناتة وكتامة إلى أن بلغ طنجة التي عيّن عليها طارق بن زياد[25]، ثم بعث بفرقة استكشافية للإطلاع على أحوال الأندلس في شهر رمضان سنة 91هـ/ 710م.

25قائد اسلامي بربري ابن عبد الله بن ولغو بن ورفجوم بن نبرغاسن بن ولهاص بن يطوفت بن نفزاو، ينتمي لقبيلة نفزاوة الكبيرة من فرع ورفجومة بمنطقة الأوراس، فهو من مواليد خنشلة سنة 50هـ/670م وتوفي بديمشق سنة 102هـ/720م.

بعدها تقرر فتح الأندلس بقيادة طارق بن زياد سنة 92هـ/711م حيث عبر المضيق الذي ما يزال يحمل اسمه وألقى خطبته الشهيرة[26]، ودارت المعركة بين "لذريق" وجيش الفتح في شهر رمضان سنة 92هـ/711م، حيث قتل لذريق وأخذ طارق في التوسع شمالا واستولى على قرطبة ومالقا وطليطلة، ثم لحق به موسى بن النصير وفتح اشبيلية، وسار شمالا حتى بلغ جبال البرانس وجنوب غرب فرنسا، ليعمر الإسلام هناك حوالي 8 قرون.

4- **نتائج الفتح الاسلامي لبلاد المغرب:** كانت لعملية الفتح الإسلامي لبلاد المغرب نتائج متعددة ومتباينة، بالإضافةإلى عمليات الاندماج بين السكان الأصليين والوافدين في إطار الفتح وتمدد الرقعة الجغرافي للدولة الإسلامية وتوسع نفوذها، انتشرت التيارات المذهبية والسياسية، ولكون بلاد المغرب بعيدة نسبيا عن عواصم الخلافة الإسلامية كانت فضاء خصبا لانتشار الدعوات السياسية والمذهبية ومن أهمها[27]:

أ. **حركة الدعاة:** هي أقدم حركة في بلاد المغرب الإسلامي، تزعمها "سلمة بن سعد" الذي كان يدعو إلى مذهب الاباضية، و"عكرمة البربري" مولى ابن عباس الذي كان يدعو إلى مذهب الصفرية، وكلاهما تحت إمامة"عبد الله بن وهب الراسبي".

من حيث العمل الدعائي تتقدم الصفرية على الاباضية، التي يهدف أصحابهاإلى مقاومة بني أمية والاستيلاء على القيروان، وتهدف الحركتين إلى عدم الخروج عن سيرة الرسول "ص" والخلفاء الراشدين، وضرورة الالتزام بالمساواة بين المسلمين وعدم التفرقة بينهم على أساس الجنس أو اللون، واعتماد الشورى كأساس لإدارة الشأن العام للأمة، وتواصل هذا النشاط الدعوي والعسكري طيلة الخلافة الأموية وبداية الخلافة

26قال طارق بن زياد مخاطبا جنده" ايها الناس اين المفر؟ البحر من ورائكم والعدو من امامكم، وليس لكم والله الا الصدق والصبر، واعلموا انكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام، وقد استقبلكم عدوكم بجيشه واسلحته، وقواته موفورة، وانتم لا وزر لكم الا سيوفكم، ولا اقوات الا ما تستخلصونه من أيدي عدوكم، والويل لكم ان احجمتم، والعزة لكم ان أقدمتم، وقد انتخبكم الوليد بن عبد الملك امير المؤمنين من الأبطال والفرسان، ليكون حظه منكم ثواب الله على اعلاء كلمة الله، واظهار دينه بهذه الجزيرة ولو كره الكافرون"

وبموجب هذه المعاهدة رسمت حدود المغرب في جزئها الشمالي الى ما وراء وادي ملوية الذي ظل حدا طبيعيا فاصلا بيم الدواتين لأكثر من الفي عام.

العباسية، وانتهت هذه الحركات بإقامة دول وطنية مستقلة عن الخلافة العباسية، وكان أولهم الرستميون في الجزائر والأغالبة في تونس والأدارسة في المغرب الأقصى.

ب. **التيار الانفصالي:** بدأت نزعة المركزية في الحكم تضعف، وبدأ المغرب الإسلامي يأخذ وضعا سياسيا خاصا نتيجة لقوة التيارات المذهبية المناوئة للسلطة المركزية في بغداد، والتي انتهت قسرا بالاعتراف بالأمر الواقع منذ القرن الثاني الهجري بظاهرة الانفصال السياسي لغرب العالم الإسلامي عن السلطة المركزية في بغداد، والتي أسفرت عن انفصال الأندلس كإمارة أموية سنة 138هـ/756م، وقيام الدولة الرستمية الاباضية بالمغرب الأوسط "الجزائر" سنة 160هـ/777هـ ودولة الأدارسة العلويين "بفاس" سنة 174هـ/ وإمارة الأغالبة العربية وهي وحدة سياسية مستقلة بالمغرب الأدنى "تونس" تابعة سياسيا ومذهبيا للخلافة العباسية، جاءت كرد فعل من المركز للإبقاء على حضور الخلافة بالمنطقة ومراقبة تطور الأوضاع السياسية والمذهبية في المنطقة عن كثب،تأسنت سنة 184هـ/ واتخذوا من القيروان عاصمة لهم، وانتهت هذه الوحدات السياسية المتجاورة على يد الفاطميين العلويين في إطار استعداداتهم السياسية والمذهبية من اجل سيادة حكمهم على العالم الإسلامي.

ثانيا: الدول الاسلامية في الجزائر:

1-الدولة الرستمية: 160هـ/776م الى 296هـ/909م.

تقع الدولة الرستمية بين مملكة الأغالبة شرقا ومملكة الأدارسة غربا وتمتد بشكل طولي يميل إلى الشرق من البحر المتوسط شمالا إلى ورقلة وغدامس وجبل نفوسة جنوبا، ولم تكن هذه الحدود السياسية ثابتة بل كانت تتسع وتضيق تبعا لنتائج الصراع مع الجارتين في الشرق والغرب

الدولة الرستمية في أقصى اتساعها

على اثر النزاعات التي عرفتها القيروان، توجه "عبد الرحمن بن رستم[28]"إلى المغرب الأوسط، ونزل على قبيلة لمّاية قرب تيارت، ولاقت دعوته القبول والتف حوله الكثير من الإباضيين عندما فكر في مدينة تكون رمزا لاستقلالهم، فأسسوا مدينة تيهرت كعاصمة لدولتهم، وهكذا تمت بيعة الإمام عبد الرحمان بن رستم من طرف رؤساء الاباضية بمدينة تيارت[29]"**قد علمتم انه لا يقيم أمرنا إلا إمام نرجع إليه في أحكامنا وينصف مظلومنا من ظالمنا، ويقيم لنا صلاتنا ونؤدي إليه زكاتنا ويقسم فينا. وقالوا بعدما تشاوروا: ولكن عبد الرحمان بن رستم لا**

28مؤسس الدولة الرستمية في الجزائر وكانت اول دولة وطنية مستقلة عن الخلافة العباسية، ولد في الحجاز نشأ في بيئة عربية اسلامية وبعد وفاة والده هاجر مع امه الى القيروان التي شكلت نقطة تحول لافتة في حياته وفيها نهل من العلم وتعلم السياسة، تميز بالزهد والتقشف والفصاحة، رحل الى البصرة لتعميق معارفه العلمية وكان قد تقلد الولاية على القيروان قبل خروجه منها وعزمه على بناء دولته.

29رشيد بورية وآخرون، مرجع سابق.80

قبيلة له يشرف بها ولا عشيرة له تحميه. وقد كان الإمام أبو الخطاب رضي لكم عبد الرحمان قاضيا وناظرا، فقلدوه أمركم فان عدل فذلك الذي أردتم، وان سار فيكم بغدر العدل عزلتموه، ولم تكن له قبيلة تمنعه ولا عشيرة تدفع عنه" فأجمعوا رأيهم عليه، ثم نهضوا إليه بأجمعهم وقالوا: يا عبد الرحمان رضيك الإمام في ابتدائنا ونحن الآن نرضى بك، ونقدمك على أنفسنا، فقد علمت انه لا يصلح أمرنا إلا إمام نلجأ إليه في أمورنا، ونحكم عنده في ما ينوب من اسبابنا. فقال لهم: إن أعطيتموني عهد الله وميثاقه لتستطيبوا إلي ولتطيعوني فيما وافق الحق وطابقه قبلت ذلك منكم"

كانت الدولة الرستمية مستقلة استقلالا تاما عن الخلافة العباسية، يقوم نظام الحكم فيها على التقيد بالكتاب والسنة وأثر السلف، يقودها الإمام وحاشيته التنفيذية (أعوان الإمام) وسلطة قضائية مستقلة، يُختار الرئيس (الإمام) بالانتخاب أو يُعهد إليه من قبل سلفه.

تمثل الدولة الرستمية التي قامت في المغرب الأوسط (الجزائر الحالية) تجربة فريدة في تاريخ الغرب الإسلامي، حيث لم تكن مجرد كيان سياسي عابر، بل كانت تجسيداً عملياً لنظرية سياسية ودينية متكاملة قامت على مبادئ المذهب الإباضي.

إن انبثاق هذا الكيان المستقل تماماً عن الخلافة العباسية في المشرق لم يكن وليد الصدفة، بل جاء نتيجة تراكمات فكرية واجتماعية قادها البربر في شمال إفريقيا الذين وجدوا في الفكر الإباضي ملاذاً من السياسات المركزية العنيفة للولاة العباسيين والأمويين.

تعود أهمية هذه الدولة إلى قدرتها الفائقة على صهر مكونات عرقية ومذهبية متباينة في بوتقة حضارية واحدة، متخذة من مدينة تيهرت عاصمة لها، وهي المدينة التي وصفت بأنها "عراق المغرب" نظراً لازدهارها العلمي والتجاري الاستثنائي[30].

30محمد بن مبارك الميلي، مرجع سابق.387.388.389.

1.الجذور الفكرية والسياسية للحركة الإباضية في المغرب

لا يمكن فهم قيام الدولة الرستمية بمعزل عن التطورات المذهبية التي شهدتها البصرة في القرن الثاني الهجري، حيث تبلور المذهب الإباضي كحركة سياسية ودينية معتدلة ترفض التطرف وتسعى لإقامة نظام حكم عادل يقوم على الشورى. كان إمام الإباضية في البصرة، أبو عبيدة مسلم بن أبي كريمة، هو العقل المدبر وراء نشر الدعوة في أطراف العالم الإسلامي، حيث قام بتربية نخبة من الطلبة عُرفوا باسم "حملة العلم"[31].

2.بعثة حملة العلم والتغلغل في بلاد المغرب

ضمت بعثة حملة العلم شخصيات محورية كان لها الدور الأكبر في تأسيس القواعد السياسية في المغرب، وهم عبد الرحمن بن رستم (الفارسي الأصل)، عاصم السدراتي، إسماعيل بن درار الغدامسي، وأبو داوود القبلي النفزاوي، هؤلاء الدعاة لم يكتفوا بنشر المبادئ الدينية، بل درسوا التركيبة القبلية للبربر بعناية، ونجحوا في إقناع قبائل كبرى مثل نفوسة وهوارة ولواتة بتبني المذهب الإباضي كإطار للمقاومة ضد السلطة المركزية في القيروان وبغداد[32].

لقد وجد البربر في المبادئ الإباضية، وخاصة مبدأ "المساواة المطلقة" وعدم اشتراط القرشية في الإمام، توافقاً مع طموحاتهم في الاستقلال والكرامة، وبحلول عام 140هـ، بايع الإباضية أبا الخطاب المعافري إماماً في ليبيا، وامتد نفوذه ليشمل القيروان، وعُين عبد الرحمن بن رستم قاضياً على طرابلس ثم والياً على القيروان، مما وضع اللبنات الأولى للسلطة السياسية الإباضية ببلاد المغرب الاسلامي.

3.الهجرة الكبرى وتأسيس مدينة تيهرت

واجهت المحاولة الأولى لإقامة إمامة إباضية ضغوطاً عسكرية هائلة من الدولة العباسية؛ إذ أرسل الخليفة أبو جعفر المنصور جيوشاً ضخمة بقيادة محمد بن الأشعث الخزاعي لاستعادة القيروان،وفي ظل هذا الضغط، اضطر عبد الرحمن بن رستم إلى الانسحاب نحو

31نفس المرجع.379.

رشيد بوروبة وآخرون، مرجع سابق.32.63

الغرب، ملتجئاً إلى أعماق المغرب الأوسط، اعتصم عبد الرحمن بن رستم في جبل "سوفجج" الحصين، حيث فشلت القوات العباسية في محاصرته بسبب وعورة التضاريس وتفشي وباء الجدري في جيش ابن الأشعث، مما اضطر الأخير للانسحاب، وفر هذا الانسحاب فرصة ذهبية لعبد الرحمن للاتصال بالقبائل البربرية المحيطة، التي بايعته بالإمامة والتفت حوله لتأسيس كيان دائم33.

في عام 160هـ (777م)، شرع ابن رستم في بناء مدينة "تيهرت" (تيارت الحالية) لتكون عاصمة للدولة الجديدة، تم اختيار الموقع بناءً على معايير إستراتيجية وبيئية دقيقة؛ فهي تقع على سفح جبل قزول، مما يوفر لها حصانة طبيعية، كما أنها تتوسط حواضر المغرب الإسلامي وتوفر وفرة في المياه والمراعي.

4.الفلسفة السياسية ونظام الحكم في الدولة الرستمية

قامت الدولة الرستمية على مفهوم "الإمامة" الإباضية، وهو نظام سياسي يقوم على الشورى والانتخاب والعدالة الاجتماعية، الإمام في هذا المنظور ليس ملكاً مستبداً، بل هو "وكيل عن الأمة" يُختار بناءً على علمه وتقواه وقدرته على إدارة شؤون الرعية وفق الكتاب والسنة[34].

كان اختيار عبد الرحمن بن رستم أول إمام للدولة نموذجاً للتوافق القبلي والمذهبي؛ فقد رُئي فيه أنه "رستمي" (فارسي الأصل)، مما يجعله محايداً تجاه النزاعات القبلية بين البربر، وهو ما ضمن وحدة القبائل تحت قيادته، اتسم نظام الحكم في بدايته بالبساطة الشديدة، حيث كان الإمام يشارك الرعية في حياتهم اليومية، ويقوم بنفسه بمهام القضاء وجباية الزكاة وتوزيعها على الفقراء[35].

رغم أن المذهب الإباضي يرفض الوراثة في الحكم، إلا أن الواقع السياسي فرض نوعاً من الاستقرار عبر حصر الإمامة في سلالة عبد الرحمن بن رستم. تتابع على الحكم أبناء

33.نفس المرجع.79.

34مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق.387.

35صاح فركوس، مرجع سابق.55.

وأحفاد المؤسس، وهو ما برره البعض بضرورة الحفاظ على تماسك الدولة، لكنه أدى لاحقاً إلى ظهور فرقة "النكار" التي عارضت إمامة عبد الوهاب بن عبد الرحمن واعتبرتها خروجاً عن مبادئ الشورى

5.الأئمة الرستميون:

تعاقب على حكم الدولة الرستمية تسعة أئمة، تباينت فترات حكمهم بين الاستقرار والازدهار، والاضطراب والفتن[36].

- عبد الرحمن بن رستم: المؤسس الحقيقي، واضع أسس الدولة، باني تيهرت، اتسم بالزهد والتقشف؛
- عبد الوهاب بن عبد الرحمن: المنظم الإداري، واجه فتنة النكار بقوة، وطد العلاقات مع الأندلس؛
- أفلح بن عبد الوهاب: العصر الذهبي، حكم 50 عاماً، ازدهر في عهده العلم والتجارة، كان عالماً موسوعياً؛
- أبو بكر بن أفلح: حكم شهوراً قليلة، اتسم عهده بالضعف وبداية تغلغل الفتن الداخلية؛
- محمد بن أفلح (أبو اليقظان): حاول استعادة هيبة الدولة، واجه تمردات قبلية واسعة من قبائل زناتة؛
- يوسف بن محمد (أبو حاتم): مرحلة النزاع الأسري، قُتل نتيجة صراع مع أبناء عمومته؛
- يعقوب بن أفلح: شهدت فترة حكمه عدم استقرار واحتجاجات مذهبية؛
- يوسف بن محمد (مرة ثانية): استمرار التدهور، انقطعت في عهده الإمامة الفعلية وفق بعض المؤرخين؛
- يقظان بن محمد: آخر الأئمة، شهد السقوط النهائي على يد الداعي الفاطمي.

6.البنية الاقتصادية[37]:

36.عبد الحميد حسين حمودة، تاريخ المغرب في العصر الاسلامي، من الفتح الاسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية.(القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 2006).327.

37.نفس المرجع،340.338.

حققت الدولة الرستمية رخاءً اقتصادياً استثنائياً جعل من عاصمتها تيهرت منافساً للحواضر الكبرى في المشرق، اعتمد هذا الرخاء على تكامل دقيق بين النشاط الزراعي المتطور والتجارة الدولية العابرة للصحراء.

استغل الرستميون الموارد المائية المتاحة في المغرب الأوسط بذكاء؛ فقاموا بشق القنوات وبناء الخزانات والأحواض المائية بتصاميم هندسية محكمة، يذكر المؤرخون أن التطور وصل إلى إيصال المياه داخل البيوت عبر أنابيب فخارية، وهو ملمح حضاري متقدم جداً في تلك الحقبة، انتشرت زراعة الحبوب، العصفر، الكتان، السمسم، والنخيل، بالإضافة إلى بساتين الفواكه التي أحاطت بتيهرت من كل جانب.

كانت تيهرت قد اشتهرت بتربية الأغنام والإبل والخيول، وبرزت عائلات ثرية تخصصت في تصدير المواشي والسمن والعسل إلى الأقاليم المجاورة.

كان موقع تيهرت الاستراتيجي هو مفتاح ثرائها؛ إذ كانت المحطة الرئيسية للقوافل التي تربط المشرق والمغرب ببلاد السودان (إفريقيا جنوب الصحراء)، سيطر الرستميون على طرق الذهب والرقيق، وكانت القوافل تخرج من تيهرت محملة بالمنسوجات والملح لتعود بالتبر (الذهب الخام) والعاج،و أقام الرستميون علاقات تجارية مع الأندلس ومصر والمشرق، وفتحت موانئ "تنس" و"وهران" أبوابها لاستقبال السفن الأندلسية، مما عزز من مكانة الدولة كمركز للتبادل الثقافي والاقتصادي.

7.النهضة الفكرية والعلمية[38]:

لم تكن الدولة الرستمية مجرد كيان سياسي، بل كانت مشروعاً تعليمياً شاملاً. فقد اعتبر الأئمة الرستميون أن العلم هو الركن الأساسي لقيام دولتهم، وكانوا هم أنفسهم فقهاء ومؤلفين ونوابغ في شتى الفنون.

38رشيد بوروبي وآخرون، مرجع سابق.، 110.109.

اشتهرت تيهرت بامتلاكها لمكتبة "المعصومة" العظيمة، التي كانت تضم وفق بعض التقديرات نحو 300 ألف مجلد، ضمت هذه المكتبة أمهات الكتب في علوم الشريعة (تفسير، حديث، فقه) والعلوم الدنيوية (طب، حساب، هندسة، فلك).

لم تكن المكتبة مقتصرة على الفكر الإباضي، بل جمعت مؤلفات لمختلف المذاهب الإسلامية، مما يعكس روح التسامح والانفتاح التي سادت الدولة، كانت هناك حركة دؤوبة لجلب الكتب من بغداد والبصرة والقيروان، ويُروى أن الإمام عبد الوهاب أرسل أموالاً طائلة لشراء أربعين حمل جمل من الكتب، استوعبها جميعاً وألحقها بخزانته.

برز في العهد الرستمي علماء كبار لم يقتصر دورهم على الجوانب الدينية؛ فقد كان الإمام أفلح بن عبد الوهاب عالماً بالرياضيات والفلك ومبدعاً في الأدب والشعر، كما عرفت الدولة ظاهرة "المناظرات الكبرى" بين المذاهب، حيث كانت تيهرت مقصداً للكوفيين والبصريين والمعتزلة الذين وجدوا فيها الحرية والأمان لممارسة طقوسهم ونقاشاتهم.

تعكس عمارة تيهرت فلسفة الدولة في الإدارة والاجتماع؛ فقد بنيت المدينة لتكون "معسكراً مباركاً" يجمع بين الوظيفة الدفاعية والرفاهية المدنية[39].

8.العلاقات الخارجية:

مارست الدولة الرستمية سياسة خارجية متوازنة مكنتها من الحفاظ على استقلالها في مواجهة الخصوم الأقوياء، نشأ تحالف متين بين الرستميين والأمويين في الأندلس، قام على أساس المصالح المشتركة والعداء للعباسيين والأغالبة. استعان أمراء الأندلس بالقوات الرستمية لصد غارات النورمان على الشواطئ الإيبيرية، وفي المقابل قدم الأمويون دعماً مالياً ودبلوماسياً للرستميين، كانت تيهرت ملجأً للأمويين الفارين من العباسيين، ومنهم عبد الرحمن الداخل الذي أقام بين بني رستم قبل دخوله الأندلس.

كانت العلاقة مع دولة الأغالبة (الموالية للعباسيين في تونس) تتسم بالتوتر المستمر والصدامات المسلحة، خاصة حول مناطق النفوذ في جبل نفوسة وطرابلس، لكن سادت علاقات

39.نفس المرجع.111.

حسن جوار وصداقة مع الأدارسة في المغرب الأقصى؛ حيث مثل الرستميون "الدولة الحاجزة" التي تحمي حدود الأدارسة الشرقية من زحف الجيوش العباسية[40].

9.الفتن الداخلية وسقوط الدولة الرستمية:

كانت الانقسامات الداخلية هي "كعب أخيل" للدولة الرستمية؛ إذ أدى الجدال حول شرعية انتقال السلطة إلى نشوء معارضة دينية وسياسية شرسة، تزعم يزيد بن فندين حركة "الإنكار" ضد إمامة عبد الوهاب، مدعياً أنها خرجت عن مبدأ الشورى لتصبح ملكاً وراثياً، أدى هذا الصراع إلى انقسام الإباضية إلى "وهبية" (مؤيدو الرستميين) و"نكار" (المعارضون)، ووقوع معارك دموية خلفت آلاف القتلى.

استغلت قبائل زناتة ضعف السلطة المركزية لتقوم بعمليات سلب ونهب للقوافل التجارية، مما ضرب الشريان الحيوي للاقتصاد، وفقدان الثقة بالسلطة انسحب الفقهاء والعلماء تدريجياً من دعم الأئمة المتأخرين الذين انغمسوا في صراعات أسرية ضيقة، مما ترك الدولة عارية أمام التهديدات الخارجية[41].

جاءت نهاية الدولة الرستمية على يد الداعي الفاطمي أبي عبد الله الشيعي في عام 296هـ

بعد أن قضى الفاطميون على دولة الأغالبة في إفريقية، توجهوا نحو تيهرت وكانت الدولة الرستمية في أسوأ حالاتها؛ حيث بلغت النزاعات بين الأئمة ذروتها، وتخلت القبائل الكبرى عن دعم السلطة المركزية، فلم تجد الجيوش الفاطمية مقاومة حقيقية؛ إذ خرج وجهاء القبائل لاستقبال أبي عبد الله الشيعي نكاية في الأسرة الرستمية، فدخل الفاطميون تيهرت، وقتلوا آخر الأئمة يقظان بن محمد ومعه معظم أفراد أسرته، في مجزرة مروعة أنهت الوجود السياسي الرسمي للرستميين. ومن اسوأ ما قام به الفاطميون هو إحراق مكتبة المعصومة

40مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق.384.

41نفس المرجع.402.

العظيمة بهدف محو التراث الإباضي، ولم ينجُ من محتوياتها إلا الكتب التي تتعلق بالعلوم الدنيوية البحتة[42].

2.الدولة الفاطمية: 296هـ/909م إلى 387هـ/1171م)

أول خلافة إسلامية شيعية اتخذت من المذهب الإسماعيلي[43]مذهباً رسمياً لها، وقد بدأت جذورها من خلال دعوة سرية منظمة نشطت في المشرق العربي[44] ثم انتقلت إلى غرب العالم الإسلامي هرباً من ملاحقة العباسيين، حيث وجد الدُعاة في بلاد المغرب العربي أرضاً خصبة لنشر دعوتهم،وتعد الدولة الفاطمية من أكثر الدول الإسلامية تأثيرًا في العصور الوسطى الإسلامية، وهي دولة شيعية إسماعيلية تأسست في شمال أفريقيا، وامتدت لتشمل مصر وأجزاء واسعة من الشرق الأوسط. تأسيسها كان تحديًا للخلافة العباسية السنية، حيث أعلنت نفسها خلافة إسلامية تمثل أهل البيت، وارتكزت على السلطة الدينية والسياسية معًا.

1.2. نشأة الدولة الفاطمية: في القرن التاسع الميلادي، كانت الخلافة العباسية تسيطر بشكل رسمي على العالم الإسلامي، لكنها كانت تعاني من ضعف سياسي وبُعد جغرافي عن الأقاليم البعيدة مثل شمال أفريقيا، التي كانت تحت حكم الأغالبة، وهم حكام تابعون للعباسيين ولكن بقوة ذاتية.

ظهرت دعوات إسماعيلية شيعية استندت إلى فكرة أن الخلافة يجب أن تكون في نسل فاطمة الزهراء بنت النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وتحرك أتباع هذه الدعوة بقيادة عبد الله المهدي، الذي أعلن نفسه خليفة عام 909م على أرض إفريقية.

وسميت الدولة الفاطمية نسبة إلى فاطمة الزهراء، ومؤسسوها زعموا أنهم من نسلها (عبر الإمام علي زين العابدين ثم الأئمة الإسماعيلية)، ولهذا اعتبروا انفسهم خلافة شرعية بديلة عن العباسيين، تأسست الدولة في مدينة المهدية بتونس (مدينة جديدة بناها المهدي المهدي عبد الله)، ثم توسعت من هناك نحو مصر وغيرها.

42نفس المرجع.403.

43نفس المرجع، 229.

.احمد مختار العبادي، التاريخ العباسي والفاطمي،(بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1971).44.221

2.2. مرحلة التمهيد والدعوة السرية

لم يكن قيام الدولة في المغرب وليد الصدفة، بل جاء نتيجة تخطيط دقيق بدأ منذ منتصف القرن الثاني الهجري، حيث أرسلت القيادة الإسماعيلية بالشام داعيين هما "أبو سفيان والحلواني" إلى شمال أفريقيا سنة 145هـ، لتمهيد الطريق للدعوة الاسماعلية، "أبو عبد الله الشيعي"الذي يُعتبر المؤسس الحقيقي للدولة عسكرياً وتظيمياً، التقى بحجاج قبيلة **كتامة البربرية**[45] في مكة عام 279هـ وتظاهر بالرغبة في القدوم إليهم وتعليم أبنائهم، ثم رافقهم إلى بلادهم في المغرب الأوسط "الجزائر حاليا"، استقر أبو عبد الله في قلعة "إيكجان" الحصينة، ونجح في تحويل قبيلة كتامة إلى قوة عسكرية ضاربة مخلصة لآل البيت[46].

بدأ الصراع العسكري الفعلي مع دولة الأغالبة ولاة العباسيين في إفريقية مطلع القرن الرابع الهجري، خاض أبو عبد الله الشيعي حروباً دامت خمس سنوات، سقطت خلالها مدن ميلة وسطيف وطبنة، وانتهت بهزيمة زيادة الله الثالث الأغلبي ودخول الفاطميين عاصمته **رقادة** (قرب مدينة القيروان التونسية حاليا) عام 296هـ /908م.

3.2. ظهور عبيد الله المهدي:في عام 297هـ /910م، خرج الإمام **عبيد الله المهدي** من سجنه في سجلماسة بعد أن حرره أبو عبد الله الشيعي، ودخل رقادة حيث أُعلن "أميراً للمؤمنين"، ليكون أول إمام شيعي يُبايع علناً بالخلافة في التاريخ، واجهت الدولة الناشئة تحديات كبرى لتثبيت أركانها في بيئة يغلب عليها المذهب السني والاباضي، لهواجس ودواعي أمنية واستراتيجية، بنى المهدي عاصمة جديدة هي **المهدية** على ساحل تونس سنة 300هـ لتكون ميناءً حربياً منيعاً ومركزاً لانطلاق الأساطيل.

45.قبيلة بربرية كبرى سكنت منطقة شمال شرق الجزائر في جيجل وبجاية وسطيف وميلة حاليا،لعبت هذه القبيلة دورا محوريا في تأسيس الدولة الفاطمية، ومنها تكنت القوة العسكرية الضاربة للدولة الفاطمية، حلّ ابو عبيد الله الشيعي على القبيلة في منطقة ايكيجان "بلدية بني عزيز حاليا" =وهي منطقة جبلية صعبة ومعقدة، تم اختيارها لحماية نواة الدعوة من وصول ايدي العباسيين اليها، ولقبيلة كتامة فضل كبير جدا في نجاح الدعوة ووضع الأسس الأولى للدولة بحسب ابن خلدون.

46احمد مختار العبادي، نفس المرجع.229

بعدما فرغ الفاطميون من ترتيبات التأسيس الأولية، وللقضاء على الدول المجاورة ذات الخلفيات الفكرية والدينية المناوئة، ساروا نحو المغرب الأوسط"الجزائر"تمكننوا من إسقاط الدولة الرستمية في تاهرت، ثم إخضاع **الأدارسة** في المغرب الأقصى، وبسط نفوذهم من طرابلس شرقاً إلى المحيط الأطلسي غرباً بعد مواجهات عنيفة لأخماد الثورات التي عرفتها المنطقة ضدهم[47].

4.2. النظم والإدارة الفاطمية في المغرب الاسلامي[48]:

- **النظام العسكري:** اعتمد الجيش الفاطمي كلياً في البداية على قبائل كتامة البربرية، وقسموا المنطقة إلى نواح لكل منها داعية يرتبط بالمركز؛
- **السياسة الدينية:** اتبع الفاطميون في بدايتهم سياسة الإقناع لا الإكراه، وأمروا بإضافة "حي على خير العمل" في الأذان، وذكر أئمتهم في الخطب، مع ترك الناس على مذاهبهم في البداية لتجنب الصدام المبكر؛

5.2. الانتقال إلى مصر:

اعتبر الفاطميون وجودهم في المغرب الإسلامي مجرد قاعدة انطلاق لاستعادة حقهم في قيادة العالم الإسلامي وإسقاط الخلافة العباسية للأسباب التالية[49]:

- أيقن الفاطميون أن بلاد المغرب الإسلامي لا تصلح كقاعدة دائمة، لكثرة ثورات القبائل البربرية، بينما تمثل مصر ثقلاً اقتصادياً وجغرافياً يؤمن السيطرة على الحجاز والشام؛

- في عهد الخليفة المعز لدين الله 358هـ، نجح القائد "جوهر الصقلي" في فتح مصر وبناء القاهرة والجامع الأزهر– بتوظيف الأيدي العاملة المهرة لقبيلة كتامة من مهندسين وبنائين وعمال– وفي عام 362هـ انتقل المعز بكامل بلاطه وأمواله وحتى توابيت آبائه إلى القاهرة، لتصبح مصر هي المقر الدائم للخلافة

47.نفس المرج، 233.

48.محمد جمال الدين سرور، تاريخ الدولة الفاطمية، (مصر: دار الفكر العربي، د.س.ن).28.

49.نفس المرجع، 60.

- قبل رحيله، عيّن المعز لدين الله الفاطمي **بلكين بن زيري** من قبيلة صنهاجة والياً على إفريقية، لتتحول بلاد المغرب من مركز للخلافة إلى ولاية تابعة إسمياً للخلافة الفاطمية، قبل أن تستقل لاحقاً وتعود للمذهب السني.

ومن أشهر أئمتها في بلاد المغرب الإسلامي ما يلي:

- عبد الله المهدي (الشيعي) 297هـ/909م؛
- أبو القاسم محمد القائم بأمر الله: 322هـ/933م؛
- الظاهر إسماعيل المنصور: 334هـ/945م؛
- المعز لدين الله: 341هـ/952م.

بعد تأسيس الدولة، استمرت الحملات العسكرية والسياسية لتوسيع السيطرة في المغرب العربي وشمال أفريقيا، وبسط الفاطميون النفوذ على مناطق مثل المغرب الإسلامي ومصر،ويعد الفتح الفاطمي لمصر عام 969م أحد أهم المحطات في تاريخ الدولة، إذ انتقل مركز الحكم من المهدية بالقيروان إلى القاهرة، التي أسسها القائد الفاطمي المعز لدين الله كعاصمة جديدة،وحينها أصبحت مصر مركزًا استراتيجيًا لوجستياً وثقافيًا واقتصاديًا، ثم ضم الفاطميون أجزاء من الشام، حيث حاولوا من خلالها منافسة العباسيين والأيوبيين لاحقًا، رغم الصراعات المستمرة مع الإمبراطورية البيزنطية والقوى المحلية.

الدولة الفاطمية في أقصى اتساعها

6.2.**الهيكل السياسي والديني النظام السياسي:** قامت الدولة على دمج السلطة الدينية والسياسية، حيث إن الإمام الفاطمي يعتبر خليفة الإسلام والقائد الروحي، وهو مركز كل السلطات؛ دينية وعسكرية وإدارية.

كان مذهب الإسماعيلية الشيعي المذهب الأساسي للإمام الفاطمي وممثليه، والذين كانوا يرفضون شرعية الخلفاء العباسيين. هذا الذي جعل الدولة مؤسسة دينية إيديولوجية إلى جانب كونها سلطة سياسية.

تم إنشاء مؤسسات إدارية متطورة، شملت دوائر مختلفة لإدارة الضرائب، الجيش، القضاء، والخزينة، وتمكنوا من إدارة إمبراطورية شاسعة مع التنسيق بين المقاطعات، ورغم طبيعة الدولة الشيعية، اتسم الفاطميون بدرجة من التسامح مع أهل السنة وأهل الديانات الأخرى، مما ساعد في تجنب صراعات مذهبية واسعة وحفظ وحدة الدولة، وتكوّن المجتمع الفاطمي من عدة طبقات رئيسية:[50]

- الفئات الحاكمة: وتتكون من الإمام، الأسرة الحاكمة، كبار المسؤولين والعلماء؛

50.رشيد بورويبة، مرجع سابق، 179.

- الطبقة العسكرية: والتي كانت تُجنّد من مختلف الأعراق بما في ذلك البربر والموالي؛
- الطبقة العاملة: تضم الفلاحين، الحرفيين والتجار؛
- القضاة: استند القضاء إلى الفقه الإسلامي الإسماعيلي إضافة إلى بعض القوانين المدنية، وكان القضاة يتمتعون بنفوذ كبير في المجتمع.

7.2.**المظاهر الحضارية:** عرفت الدولة الفاطمية ازدهارا حضاريا كبيرا وتعددت مصادره:[51]

- **الزراعة:** كانت أساس الاقتصاد، مع ري متطور في دلتا النيل، وتنوعت المحاصيل الزراعية كثيرا، وكانت تشكل ثروة حقيقية للسكان والدولة؛
- **التجارة البحرية:** لعبت التجارة عبر البحر دورًا كبيرًا في الربط بين أفريقيا، وأوروبا، وآسيا، فالاطلالة الواسعة للدولة على واجهة بحرية مهمة سمح بتوسيع العلاقات والمبادلات التجارية، إضافة إلى استغلال نهر النيل في توزيع المنتوج نحو الأقاليم الجنوبية للدولة؛
- **الصناعات:** نشطت الصناعات الحرفية وصناعة النسيج وعدت من القطاعات المهمة، لمساهمتها في اقتصاد الدولة وتشغيل اليد العاملة؛
- **الإنجازات الثقافية والعلمية**[52]: لا شك أن تأسيس الجامع الأزهر بالقاهرة كان من أعظم إنجازات الفاطميين، الذي تحول إلى مركز علمي ضخم ومركز للدعوة الدينية والتعليم الإسلامي، ولا يزال حتى اليوم منارة علمية تُقصد لطلب العلم من كل أنحاء العالم الإسلامي؛
- **الفنون والعمارة:** تميزت العمارة الفاطمية بألوانها الزاهية ونقوشها المعقدة، وبناء القصور، والمساجد، والقصبات، كما استُخدمت الزخارف التي تمثل الطابع الإسماعيلي، منها الزخارف النباتية والهندسية والنقوش القرآنية.
- **العلوم:** برع العلماء الفاطميون في مجالات عديدة مثل الطب (طب العيون والجراحات)، الفلك (إنشاء مراصد فلكية مهمة)، الرياضيات، الفلسفة، والفنون الأدبية والشعر، كان الفاطميون يعطون اهتمامًا خاصًا لإكرام العلماء وتشجيع الفكر، من خلال منحهم مناصب ومخصصات مالية، وهو ما جذب علماء من كل أنحاء العالم الإسلامي.

51.نفس المرجع،180.181.

52.نفس المرجع، 181.

- **الجيش:** ضم الجيش الفاطمي فئات مختلفة من المقاتلين، أهمها قوات البربر (نذكر حصرا القوة الضاربة للجيش الفاطمي المشكلة أساسا من بواسل قبيلة كتامة الجزائرية)، والمماليك (جنود العبيد المحترفين)، بالإضافة إلى جنود من عرب مصر والشام، وكان الجيش على درجة عالية من التنظيم، وله هيكل قيادي مستقل، على الرغم من وجود جيش الطائفة في بعض فترات الحكم، وهي قوات دينية مقربة من الإمام وتدين له بالولاء.

خاض الفاطميون حروبًا ضد العباسيين والحكام المحليين في الشام والعراق، ومواجهات صراعية مع البيزنطيين على الحدود الشمالية، ومواجهة الأيوبيين التي انتهت في النهاية بسقوط الدولة

8.2. **التراجع والسقوط:**

تظافرت عدة عوامل داخلية وأخرى خارجية في ضعف الدولة الفاطمية وسقوطها في النهاية53:

- الصراعات الداخلية بين الفصائل المختلفة، بما فيها فصائل الجيش والإداريين؛
- تداخل الخلافات الدينية بالمصالح السياسية. ضعف السلطة المركزية تدريجياً؛
- الصراعات مع الأيوبيين الذين سعوا لإعادة مصر إلى المذهب السني والعباسي؛
- سقوط الدولة في عام 1171م، قام صلاح الدين الأيوبي بإلغاء الخلافة الفاطمية، وأعلن الولاء للخليفة العباسي، منهياً بذلك وجود الخلافة الفاطمية التي استمرت لأكثر من 260 عامًا.

53.احمد مختار العبادي، مرجع سابق.336.337.

3. الدولة الزيرية الحمادية: 398هـ/1007م إلى 547هـ/1153م.

يُعتبر التاريخ الإسلامي في بلاد المغرب والأندلس من أغنى الفصول التاريخية التي شهدت تنوعًا ثقافيًا وسياسيًا وحضاريًا كبيرًا. ضمن هذه الفصول، تبرز دولتا بني زيري وبني حماد كأحد المراحل المهمة التي حافظت على الهوية الإسلامية، ووسعت نفوذها في المغرب الكبير والأندلس خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر للميلاد.

1.3.نشأة الدولة الزيرية/الحمادية:

ينتمي بنو زيري إلى قبيلة صنهاجة، وهي من اكبر قائل البربر في شمال أفريقيا، يعود نسبهم إلى زيري بن مناد، وهو زعيم أمازيغي وثق به الفاطميون خاصة في عهد القائم والمنصور، كما كان ابنه بلكين الذي وُلي على قبيلة صنهاجة من أعظم وجهاء قومه[54]، ظهر في نهايات القرن العاشر.

مهّد ضعف نفوذ الفاطميين في المغرب الإسلامي إلى توسع القوى المحلية مثل بني زيري الذين استطاعوا تأمين استقلال سياسي بـ "أشير" ولاية المدية بالجزائر حاليا سنة 935م، ثم توسعت الدولة نحو تونس، ونقل الزيريون عاصمتهم إلى القيروان سنة 1014م، ثم المهدية بتونس سنة 1148م ، وبذلك تأسست دولة بني زيري، كدولة قوية تعكس صراع الحاكمية بين الأمويين في الأندلس والفاطميين في مصر.

تميزت الدولة الزيرية في بداياتها بالتحالفات المتقلبة مع الفاطميين، إذ كان بنو زيري في البداية موالين للخليفة الفاطمي الذين كانوا يرون فيهم حلفاءً ضد القبائل العربية، إلا أن بني زيري سرعان ما استغلوا الفوضى السياسية والنزاعات الداخلية، فنجحوا في إعلان استقلال شبه كامل عن الفاطميين بحلول منتصف القرن الحادي عشر.

2.3.نظام الحكم: اشتُهر حكم بني زيري بالتنظيم الإداري القوي والمركزية التي تتمحور حول الدولة واعتبارها القوة العليا الحاكمة وكان نظام الحكم ملكيا وراثيا، فرض الزيريون نظامًا قانونيًا إسلاميًا استقى أحكامه من المذهب المالكي بعدما أعلن المعز بن باديس

54.رشيد بوروبة، مرجع سابق.161.

استقلاله عن الفاطميين سنة 1049م، حيث نبذ المذهب الشيعي وعاد الى المذهب السني المالكي واعترف بالخلافة العباسية، وهو المذهب السائد في بلاد المغرب حينها والى الآن، مما عزز من استقرار الحكم الديني والسياسي. أدار الزيريون الأقاليم عن طريق ولاة يتم تعيينهم من الأسرة الحاكمة أو من القادة الثقاة[55]

كما برع بنو زيري في إقامة علاقات دبلوماسية تجارية مهمة مع عدة قوى إقليمية؛ فقد ربطتهم علاقات مع الحكومات الأندلسية وكذلك مع الممالك المسيحية الأوروبية، فضلاً عن انخراطهم في حركة التجارة المتوسطية. لكن في الوقت نفسه، عانوا من تحديات داخلية تتمثل في المقاومة المتفرقة للقبائل،وتهديدات الفاطميين بع انقلاب المعز بن باديس.

3.3.عسكريا:، أسس بنو زيري جيشًا محكمًا يعتمد على المُقاتلين الأمازيغ، فضلاً عن استقطاب المرتزقة من الخارج، لتحقيق التوازن في السلطة الإقليمية، وحماية الحدود ضد التهديدات الصليبية، كان لبني زيري دور متداخل بين المغرب الأوسط والأندلس، حيث أن الأوضاع السياسية هناك انعكست على الصراع أو التعاون بين الطرفين، ففي المغرب الإسلامي، تحكموا في مدن مثل تونس والقيروان، مع توسيع نفوذهم في المناطق التي كانت تحت سيطرة الفاطميين سابقًا.

4.3. في الأندلس، فقد تواصلوا مع الحكام الأمويين الذين كانوا في مراحل الضعف المتأخرة لدولة الخلافة الأموية في قرطبة، فاستغل بنو زيري ذلك في محاولة فرض نفوذ سياسي وعسكري في إشبيلية وغيرها من مدن الأندلس، خاصة بعد الانقسام الذي أصاب الأراضي الإيبيرية الإسلامية عقب سقوط الخلافة الأموية[56].

ساهمت هذه الديناميات في انتشار النظم الإدارية والثقافية بين المغرب والأندلس، وتم استمالة العلماء والفنانين ضمن دول بني زيري لتأسيس هويات متجانسة يعكسها نظام الحُكم والهندسة المعمارية.

55.نفس المرجع.178.

56.برحو بوسيف، الأسرة الزيرية الحاكمة في غرناطة.(تيارت: مخبر العبر للدراسات التاريخية والثرية في شمال افريقيا، المجلد 05، العدد 01، 2022).239.

5.3. سقوط الدولة الزيرية: على الرغم من القوة الظاهرية، شهدت الدولة الزيرية تراجعًا تدريجيًا مع زيادة ضعف الحكام، خصوصًا في مواجهة التمردات القبلية والصراعات على السلطة داخل الأسرة، كما أدى توسع قبائل البربر الأخرى، وصعود الحماديين، إلى تحدي السلطة الزيرية، فضلاً عن احتكاكات وتحرشات الأوروبيين بدول المغرب الإسلامي، انتهى حكم بني زيري مطلع القرن الحادي عشر للميلاد (1018م)، عندما استولى الحماديون على ما تبقى من أراضيهم[57].

الدولة الزيرية في اقصى اتساعها

دولة بني حماد (1018/1143م): يمكن اعتبار أن الحماديين هم أبناء العمومة المتمردين على الزيريين، فمؤسس الدولة حماد بن بلكين كان قائدا عسكريا كبيرا وعمّا للأمير الزيري باديس بن المنصور، وبالتالي فهم من نفس القبيلة البربرية، لكن المؤسف أن العلاقة بينهم كانت في اغلب مراحلها صراعية، وكان التمرد المسلح الذي أدى إلى حرب ضروس بين الطرفين بين سنتي 1014م و 1018م كافية باعتراف الزيريين بالكيان الجديد "الدولة الحمادية"[58] والذي شكل أول دولة بربرية في الجزائر وفي شمال إفريقيا، وكانت أولى إشارات الكيان السياسي الجديد، هي بناء حماد **للقلعة** بمنطقة المعاضيد ولاية المسيلة حاليا كعاصمة

57.عمار بوحوش مرجع سابق.45.

58رشيد بوروبة، مرجع سابق.204.

للدولة، ثم تم نقل العاصمة إلى بجاية في عهد الناصر بن علناس وسميت بالناصرة سنة 1069م[59].

اقصى امتداد للدولة الحمادية

كان الهدف من الدولة الحمادية تأسيس حكم مستقل قوي يوازن بين النفوذ القبلي والحضري وخاصة لمواجهة خطر الأوروبيين في البحر المتوسط. وقد أظهرت دولة بني حماد قدرة كبيرة على تنظيم وبناء الدولة، وتطوير البنية التحتية الاقتصادية والاجتماعية.

1.**نظام الحكم والتنظيم الإداري:** كان نظام الحكم ملكيا وراثيا، قسمت البلاد في عهد بن علناس إلى 06 أقاليم وعيّن أقاربه عليها، كما عهد لأعمامه ببعض الإمارات، قام الحماديون بتطوير الأجهزة الحكومية، كمنصب الوزير، واستحدثوا الدواوين " الإنشاء، البريد..." والقضاء إضافة إلى مؤسسة الجيش" القوات البرية والأسطول البحري والقوات البحرية" بما في ذلك النظام الجبائي، وأعلوا من شأن الدين، والتزموا بتعاليم الإسلام وتشريعاته[60].

59نفس المرجع.210.

60نفس المرجع، 221.222.223.

2.المظهر الاقتصادي: اعتمد الحماديون على الزراعة وتربية المواشي، والتجارة نحو الأقاليم الداخلية والصحراء والبحرية عبر موانئهم المطلة على البحر المتوسط مثل بجاية، والتي أصبحت نقطة التقاء تجاري زاهر بين شمال إفريقيا وأوروبا[61] كما نظموا الأسواق وراقبوا الأسعار وسكوا العملة.

3.العلوم والثقافة والفنون: ازدهرت العلوم ازهارا لافتا وفي شتى الحقول المعرفية حت غدت بجاية حاضرة ومنارة علمية تضاهي اكبر الحواضر الاسلامية، كما تطورت العمارة الإسلامية، وتطورت تقاليد صناعة الفخار والخزف والنقش على الخشب والحجر[62].

كما اشتهر الحماديون بسماحتهم وتعايشهم الديني والثقافي، حيث سمحوا بأماكن عبادة للأقلية المسيحية، وتبادلوا التقاليد الثقافية مع الجيران من شعوب مختلفة في حوض المتوسط وخاصة ايطاليا.

4.السياسة الخارجية: جمعت بنو حماد علاقات معقدة مع الفاطميين الذي ربطتهم معهم علاقات تاريخية تأرجحت بين السلم والصراع على حسب الظروف والسياقات، خاصة بعد عزم الفاطميين على نقل عاصمة الملك والخلافة إلى مصر، كما أن العلاقة كذلك لم تكن على ما يرام مع أبناء العمومة من الزيريين ومع جيرانهم في الغرب "المرابطين" المندفعين بشراهة التوسع، وكذلك الحال مع بعض المماليك من العرب الهلالية التي أرسلت من طرف الفاطميين لتتبع الزيريين، فكانت لهم صدامات عديدة وعنيفة مع الحماديين.

مع احتدام التنافس والصراع مع القوى الصليبية والبحرية الأوروبية، واجَهوا عدة حروب دفاعية وهجومية للحفاظ على السلطة، وفي سبيل توسيع رقعة دولتهم. كما ساهم جيش بني حماد في حماية الشرق الجزائري من الهجمات المتكررة خاصة الهلالية، وكذلك في صد مخططات الصليبيين الذين بدأوا يتوسعون عبر البحر المتوسط[63] .

61مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق.462.

62نفس المرجع، 463.

63.رشيد بورويبي، مرجع سابق.217.216.215.

5. سقوط الدولة الحمادية: بدأت الدولة الحمادية في الانهيار نتيجة إنقسامات داخل الأسرة الحاكمة، وزيادة قوة المرابطين والموحدين الذين كانوا يعملون على توحيد المغرب الكبير، فتمكنوا تدريجيًا من إضعاف بني حماد وضغط الهجمات الخارجية من الأوروبيين، الصليبيين بشكل خاص، وتدهور الأمن في بعض المناطق الساحلية، ونتيجة لكل ما سبق، شرع عبد المؤمن بن على في غزو المغرب الأوسط "الجزائر الحمادية" فاستولى على مدينة الجزائر وبجاية والقلعة وقسنطينة سنة 1143م، وفي نفس السنة تم أداء اليمين من طرف عبد المؤمن بن علي وكان ذلك إيذانا بنهاية الحكم الحمادي وبداية الحكم الموحدي[64]

4.الدولة الموحدية 515هـ/1121م الموافق لـ 668هـ/1269م.

تأسست دولة الموحدين على يد محمد المهدي بن تومرت[65] المنتسب إلى قبيلة مصمودة، بعد عودته من المشرق استقر بمدينة المهدية، وبتوجهه إلى مراكش اصطدم بعلي بن يوسف بن تاشفين الذي أمر بطرده من المغرب، فعاد إلى الجزائر وأدعى انه المهدي المنتظر، فبايعه الناس وأعلن عداءه للمرابطين، فحاصر مراكش سنة 524هـ، وانهزم في هذه المعركة "معركة البحيرة" وتوفي متأثرا بجراحه بعد هذه المعركة بأشهر قليلة.

خلفه تلميذه عبد المؤمن بن علي، الذي حمل على المرابطين حتى هزمهم وسيطر على عاصمتهم سنة 1147م، ثم اتجه شرقا نحو الجزائر وتونس وأخضعهما وقضى على الدولة الحمادية، ثم اتجه نحو الأندلس وافتكها من أيدي المرابطين سنة 1156م.

شهد القرن السادس الهجري بزوغ واحدة من أعظم التجارب السياسية والعقائدية في تاريخ المغرب الإسلامي والأندلس، وهي الدولة الموحدية، التي لم تكن مجرد تغيير لأسرة حاكمة بأخرى، بل كانت "ثورة شاملة" مست مفاصل العقيدة، والسياسة، والمجتمع.

64.نفس المرجع.218.

65.ينتسب ابن تومرت الى قبيلة "هزغة" وهي بطن من بطون القبيلة البربرية الكبرى "مصمودة" ولد بمنطقة السوس جنوب المغرب الأقصى، ولد بين سنتي 469هـ و491هـ، ينتمي الى اسرة من اواسط القوم، متوسطة الثروة والجاه، متدينة وترأس والده القبيلة، التي تربى فيها ابن تومرت، وحفظ القرآن، ثم تعلم الأدب وعلوم اللغة وكان محبا للعلم والمعرفة، ورحل الى المشرق للمزيد من تحصيل العلم.

انطلقت هذه الثورة من جبال الأطلس كحركة دينية تصحيحية على يد محمد بن تومرت، لتتحول في عهد خلفائه من بني عبد المؤمن بن علي الكومي إلى إمبراطورية قارية، وحدت لأول مرة في التاريخ كامل بلاد المغرب الاسلامي والأندلس تحت سلطة مركزية واحدة، فقد استطاعت هذه الدولة أن توحد المغرب والأندلس تحت راية واحدة لأول مرة منذ الفتح الإسلامي، وأن تقيم كياناً سياسياً قوياً امتدت جذوره من المحيط الأطلسي غرباً إلى حدود مصر شرقاً، ومن البحر الأبيض المتوسط شمالاً إلى أعماق الصحراء الكبرى جنوباً[66]

تهدف هذه المحاضرة إلى تسليط الضوء على هذه الحقبة الفريدة، مستعرضة لمراحل التأسيس العقدي، والتمكين العسكري، والازدهار الفكري الذي جعل من مراكش وإشبيلية منارات للعلم والقوة في العصور الوسطى، وصولاً إلى تحليل عوامل الانكسار والانهيار[67].

1.4.ظهور الدعوة وتأسيس الدولة: بدأت الحركة الموحدية كدعوة دينية إصلاحية أطلقها محمد بن تومرت الملقب بـ "المهدي". بعد رحلته المشرقية، ففي سنة 501هـ انتهى به السفر الى مدينة بغداد، فاخذ اصول الفقه على يد ابي بكر الشاشي، ودرس الحديث على يد على المبارك بن عبد الجبار، والتقى بالامام ابي حاد الغزالي وتأثر به[68]، عاد للمغرب منتقداً ترف المرابطين وعقيدتهم. ركز ابن تومرت في فلسفته على عقيدة التوحيد وتنزيه الخالق وتأويل الصفات، واتهم خصومه بـ "التجسيم"، ومن هنا جاء اسم "الموحدون"[69].

لقد قامت هذه الدولة على مبادئ دينية وإصلاحية عميقة، حيث بدأت بدعوة دينية إصلاحية أطلقها رجل متنسك متعلم هو المهدي بن تومرت، ثم تحولت على يد تلميذه وولي عهده عبد المؤمن بن علي إلى إمبراطورية مترامية الأطراف ذات أسس سياسية وإدارية وعسكرية متينة [70]. ولا يمكن فهم تاريخ المغرب والأندلس في العصور الوسطى دون دراسة متعمقة للدولة الموحدية، لأنها مثلت نقطة تحول كبرى في موازين القوى بالمنطقة، كما أنها

66.مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق.602.

67.عبد المجيد النجار، المهدي بن تومرت، (لبنان: دار الغرب الاسلامي، 1983).378.

68.عبد الله علي علام، الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي، (مصر: دار المعارف، 1971).48.

69.عبد المجيد النجار، المرجع السابق، 55.

70.نفس المرجع.47.46.

شكلت آخر مراحل الوجود الإسلامي القوي في الأندلس قبل أن تبدأ مرحلة التجزئة والسقوط التدريجي.

في سنة 110م/ 504هـ، عاد ابن تومرت إلى المغرب وبدأ في نشر أفكاره بين الناس، وكانت أفكاره تتلخص في الدعوة إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ونقد فقهاء المرابطين ووصفهم بالجمود والتقليد الأعمى، والدعوة إلى التوحيد الخالص ومحاربة كل ما اعتبره بدعاً وخرافات، والتأكيد على ضرورة الاجتهاد ورفض التقليد في الأحكام الشرعية[71].

قوبلت دعوة بن تومرت بمعارضة شديدة من سلاطين المرابطين وعلمائهم، لأنه كان يطعن في شرعيتهم ويتهمهم بالكفر والضلال، مما اضطره إلى الفرار من مراكش واللجوء إلى جنوب المغرب الأقصى، حيث وجد بيئة حاضنة بين قبيلة مصمودة التي كانت تنظر إلى دعوته بعين الارتياح، وهناك تمكن المهدي بن تومرت من تنظيم أتباعه، حيث قسمهم إلى فئات متدرجة، فجعل النخبة الخاصة وأصحاب السر في طبقة "أهل الجماعة"، والذين هاجروا معه إلى الجنوب في طبقة "أهل الدار"، وعامة الأتباع في طبقة "أهل الظاهر"، كما استحدث نظام طلاب العلم الذين كانوا يرسلون في مهمات دعوية وعسكرية إلى مختلف القبائل لنشر الدعوة وجمع الأنصار[72].

بعد سنوات من التنظيم والدعوة والمواجهات العسكرية مع المرابطين، توفي المهدي بن تومرت في أغسطس سنة 1128 للميلاد الموافق لسنة 524 للهجرة، وذلك بعد حصار طويل لمراكش عاصمة المرابطين. قبل وفاته، أوصى المهدي لأمرين مهمين[73]:

- أن يخلفه في قيادة الدعوة تلميذه الوفي عبد المؤمن بن علي؛

- أن يكتم خبر وفاته لفترة من الوقت حتى لا تضعف معنويات الجيش الموحدي وأعلان عبد المؤمن بن علي زعيماً جديداً للحركة الموحدية، لتبدأ بذلك مرحلة جديدة وأكثر نضجاً في تاريخ الدعوة الموحدية.

71.نفس المرجع.51

72.نفس المرجع.116.

73.مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق.601.

2.4.أحوال المغرب والأندلس قبل قيام الدعوة الموحدية

كان المغرب الإسلامي والأندلس في أواخر القرن الخامس الهجري وأوائل القرن السادس الهجري تحت حكم دولة المرابطين، وهي الدولة التي قامت أيضاً على أسس دينية وإصلاحية على يد عبد الله بن ياسين قبل أن تنتقل إلى تلاميذه من قبيلة **لمتونة** الصحراوية وقد تمكن المرابطون من توحيد المغرب والأندلس تحت رايتهم، وحققوا انتصارات عسكرية مهمة على الممالك المسيحية في الأندلس، مثل معركة الزلاقة الشهيرة سنة 1086م[74].

لكن مع مرور الزمن، أصاب الدولة المرابطية الوهن والضعف التدريجي لأسباب متعددة منها[75]:

- تحول الحكام المرابطون من الزهد والتقشف الذي تميز به مؤسسو الدولة إلى الترف والرفاهية والانغماس في الملذات، مما أفقدهم شرعيتهم الدينية التي قامت عليها دولتهم في الأصل؛
- أصاب الفقهاء المرابطين نوع من الجمود الفكري والتعصب المذهبي، حيث تمسكوا بالمذهب المالكي بشكل متصلب وأغلقوا باب الاجتهاد، وكفّروا كل من خالفهم في الرأي، مما أدى إلى نفور الكثير من العلماء والمفكرين منهم؛
- كما أن الجيش المرابطي، الذي كان في يوم من الأيام أقوى جيش في الغرب الإسلامي، أصبح غير قادر على حماية الثغور الأندلسية من الهجمات المسيحية المتجددة، خاصة بعد أن بدأت ممالك قشتالة وأراغون والبرتغال تتحد وتنظم حملاتها العسكرية بشكل أكثر فاعلية؛
- ظهور انقسامات وصراعات على الحكم بين أفراد الأسرة المرابطية نفسها، مما أضعف الدولة وألهى الحكام عن مواجهة الأخطار الخارجية؛
- كان العالم الإسلامي يعاني من ضعف عام في تلك الفترة، حيث كانت الحملات الصليبية تضرب المشرق الإسلامي وتستنزف موارد الدولة الزنكية ثم الأيوبية، وفي الأندلس كانت حملات الاسترداد المسيحية تتقدم بثبات نحو الجنوب، مستغلة ضعف الموحدين وتنازعهم.

74.مبارك بن محمد الميلي.584.585.

75.نفس المرجع.592.593.

هذا الوضع المتردي خلق مناخاً مناسباً لظهور قوة جديدة قادرة على توحيد الصفوف الإسلامية وصد الأخطار المحدقة بالمسلمين في المغرب الإسلامي والأندلس، ومن الناحية الثقافية والدينية.

عرف المغرب الإسلامي في تلك الفترة حراكاً فكرياً ودينياً متميزاً، تمثل في انتشار المدارس العلمية وظهور المتصوفة، هذا الحراك الفكري خلق حالة من الترقب والاستعداد لتغيير كبير في بنية الدولة والمجتمع، وكان المهدي بن تومرت هو الشخص الذي سيجسد هذا التغيير.

3.4.عبد المؤمن بن علي الكومي التلمساني المؤسس الحقيقي للدولة الموحدية

كان عبد المؤمن بن علي الكومي من قبيلة كومة التي تسكن منطقة تلمسان في غرب الجزائر، ولد حوالي سنة 489هـ/1094م، كان من طلاب العلم الذين التحقوا بالمهدي بن تومرت في بداية دعوته، وسرعان ما لفت انتباه المهدي بذكائه الحاد وولائه المطلق وإخلاصه الكبير للدعوة، فجعله من خاصة أتباعه وأقرب المقربين إليه.[76]

تميز عبد المؤمن بصفات فريدة جعلته القائد المناسب لقيادة الحركة الموحدية بعد وفاة المهدي، فقد كان يتمتع بدهاء سياسي كبير وقدرة عالية على التفاوض والمناورة، ناهيك عن كفاءة عسكرية عالية وخبرة حربية متراكمة، وقدرة إدارية ممتازة على تنظيم شؤون الدولة وإدارة الشأن العام، فضلاً عن التزامه العميق بالعقيدة الموحدية وإخلاصه لها.

بعد توليه القيادة، شن عبد المؤمن حملات عسكرية متتالية ضد المرابطين استمرت عدة سنوات، حقق خلالها انتصارات مهمة، أبرزها معركة البحيرة سنة 524 للهجرة التي مهدت الطريق أمام التوسع الموحدي، ثم معركة فاس سنة 539 للهجرة والتي سقطت على إثرها مدينة فاس العريقة في أيدي الموحدي[77]

76.عبد الله علي علام، مرجع سابق.87.

77.نجدة خماش، نفس المرجع.على الرابط:https://arab-ency.com.sy. اطلع عليه يوم:08/04/2026

في سنة 541هـ/1147م، تمكن عبد المؤمن بن علي من دخول مراكش عاصمة المرابطين منتصراً بعد حصار طويل، وأعلن نفسه أميرا للمؤمنين، لتنتهي بذلك دولة المرابطين رسمياً وتبدأ الدولة الموحدية في مرحلة جديدة من القوة والتمدد.[78]

بعد السيطرة على مراكش، شرع عبد المؤمن في توحيد كامل بلاد المغرب، فأخضع قبائل الأطلس العنيدة وتوسع غربا نحو المحيط الأطلسي، ثم سار شرقا وسيطر على تلمسان وبجاية وقسنطينة حتى حدود إفريقية "تونس" شرقاً[79]،بعد ذلك اتجه شمالا وحرر طنجة وسبتة من بقايا المرابطين، وقد تمكن عبد المؤمن من توحيد القبائل المتناحرة والمتخاصمة تحت راية واحدة، مستخدماً مزيجاً فريداً من القوة العسكرية والسياسة الحكيمة، حيث كان يعاقب المتمردين بقسوة ويكافئ الموالين بسخاء.

واصل عبد المؤمن فتوحاته شرقاً، فسيطر على إفريقية وهي تونس الحالية وما جاورها، وواجه قبائل بني هلال وبني سليم العربية التي كانت تمثل تحدياً كبيراً للموحدين بسبب قوتها وبداوتها وولائها المتقلب، لكنه استطاع في النهاية كسب ولائهم بعدما قهرهم عسكرياً[80].

وصلت الدولة الموحدية في أقصى اتساعها على يد عبد المؤمن إلى برقة شرق ليبيا على حدود مصر، وإلى المحيط الأطلسي غرباً، وإلى البحر المتوسط شمالاً، وإلى الصحراء الكبرى جنوباً، توجه عبد المؤمن نحو الأندلس بعد مناشدة أهلها له لنجدتهم والتصدي لتقدم الممالك المسيحية.

78.نفس المرجع..

79.محمد بن مبارك الميلي، مرجع سابق.602.

80.نجدة خماش، المرجع السابق.

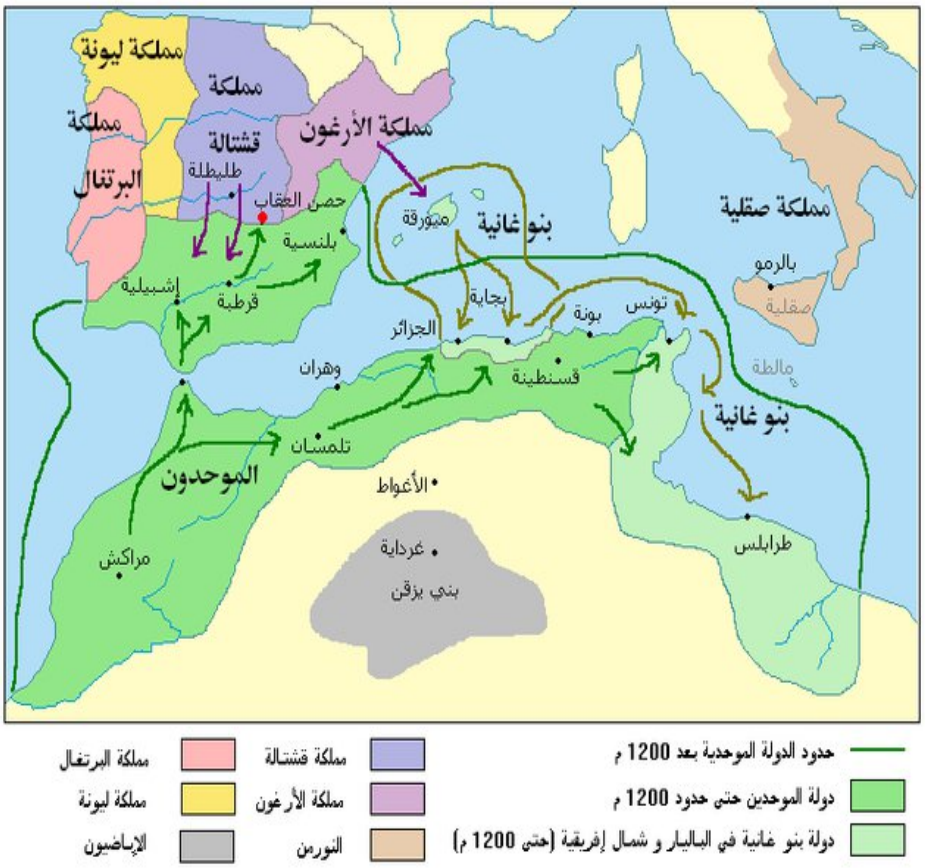

-الدولة الموحدية في اقصى اتساعها-

4.4. نظام الحكم والادارة: بدأ حركة الموحدين من دعوة دينية إصلاحية إلى دولة إمبراطورية منظمة ذات أسس سياسية وإدارية، فبعدما كان نظام الحكم قائما على الشورى في عهد ابن تومرت، عبد المؤمن الخلافة إلى ملكية وراثية، قائمة على نظام إداري منظم، جعل على رأسه "أمير المؤمنين" وهو الخليفة والقائد الأعلى للدولة، وأنشأ "مجلس أهل الجماعة" وهو أعلى هيئة استشارية من بقايا تنظيم المهدي بن تومرت[81]، وعين وزراء لكل منهم وظيفة محددة مثل وزير الجيش ووزير المال ووزير العدل، كما قسم الدولة إلى ولايات كبرى يديرها

81.من الركائز التنظيمية والسياسية التي قامت عليها الدولة الموحدية، يتكون من النخبة المقربة من الخليفة/ امير المؤمنين، بلغ عددهم 50 عضوا يتقدمهم اهل العشرة، من مهامه: المشورة العسكرية، الحفاظ على عقيدة الموحدين، مشاورتهم في الادارة والتعيين، وضمان انتقال البيعة.

ولاة يعينهم الخليفة، مثل ولاية مراكش وولاية فاس وولاية إشبيلية وولاية بجاية وولاية إفريقية.[82]

5.4.الجيش: يشكل الجيش القوة الضاربة للإمبراطورية، فقد طوره عبد المؤمن وجعله من أقوى جيوش عصره، فقد شكلت جيوب قبيلة مصمودة العمود الفقري للجيش والموالون الأوفياء للدولة، إضافة إلى الكتائب الأندلسية الخبيرة في القتال والرماية، والفرسان العرب من قبائل بني هلال وبني سليم الذين برعوا في إستراتيجية المباغتة والكر والفر، والأسطول البحري القوي لحماية السواحل وضرب الأعداء في الأندلس.

6.4.المظاهر الحضارية: اهتم عبد المؤمن بن علي بالبناء والتشييد، فبدأ بتشييد جامع الكتبية الشهير بمراكش الذي يعتبر تحفة معمارية إسلامية، وبنى أسوارها لحماية العاصمة الجديدة للموحدين، وشق الجسور والقناطر لتطوير البنية التحتية، وأقام المدارس والمساجد لنشر العلم والتعليم، فازدهرت العلوم المختلفة كالعلوم الانسانية والعلوم الاجتماعية والعلوم الطبيعية[83].

توفي عبد المؤمن بن علي سنة 558هـ/1163م وقد استمر حكمه ثلاثة وثلاثين عاماً، استطاع خلالها تحويل دعوة دينية صغيرة ومحدودة إلى إمبراطورية مترامية الأطراف تمتد من المحيط الأطلسي إلى حدود مصر، أوصى عبد المؤمن من بعده لابنه محمد، لكن الخلافة انتقلت بعد صراع قصير إلى ابنه الآخر أبا يعقوب يوسف، الذي سيواصل مسيرة والده في التوسع والإنجاز.

7.4. الدولة الموحدية في أوج قوتها:

تولى أبو يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الحكم بعد وفاة والده سنة 558هـ/1163م وكان عمره حوالي ثمانية وعشرين عاماً، عُرف بشغفه الكبير للعلم والأدب ورعايته للعلماء والمفكرين، في بداية حكمه، واجه أبو يعقوب بعض الثورات والتمردات من بعض أعمامه

---

82. رشيد بوروبة، مرجع سابق.321.320.319

83.نفس المرجع.343.

وإخوته الذين طمعوا في الخلافة، لكنه تمكن من إخماد هذه الثورات بسرعة وحزم بفضل دهائه السياسي وكفاءته العسكرية[84].

ركز أبو يعقوب يوسف جهوده على الأندلس أكثر من المغرب، فأدرك أن الخطر الحقيقي الذي يهدد الدولة الموحدية يأتي من الممالك المسيحية التي كانت تتقدم جنوباً بثبات، فشن حملات عسكرية متكررة على هذه الممالك، وكانت أبرز حملاته على مدينة شنترين البرتغالية سنة 580هـ، لكن القدر لم يمهل أبا يعقوب طويلاً، فقد أصيب أثناء حصاره لشنترين بجراح بالغة أدت إلى وفاته بعد أيام قليلة.

ورغم قصر مدة حكمه إلا أن عهد أبي يعقوب يوسف تميز بازدهار ثقافي وعلمي كبير لم تشهده الدولة الموحدية من قبل،فقد قرب أبو يعقوب الفيلسوف الكبير ابن طفيل و الفيلسوف العظيم ابن رشد، وشجعه على كتابة شروحه لأرسطو التي ستصبح فيما بعد من أهم مراجع الفلسفة في أوروبا، كما ازدهرت في عهده حركة الترجمة من اليونانية والسريانية إلى العربية، وتم بناء العديد من المساجد والمدارس والمكتبات في مختلف أنحاء الدولة.

توفي أبو يعقوب يوسف سنة 580 للهجرة، وخلفه ابنه أبو يوسف يعقوب الذي عُرف فيما بعد بالمنصور، وهو اللقب الذي سيطلقه عليه التاريخ بعد أعظم انتصار عسكري في تاريخ الموحدين، استطاع بسرعة أن يؤكد سلطته على كامل الدولة ويواجه أي ثورات داخلية. وكان يجمع بين صفات القائد المحنك والسياسي الداهية، قاد أعظم معركة في تاريخ الموحدين، "معركة الأرك الكبرى سنة 591هـ/ 1195م". ضد ملك قشتالة "ألفونسو الثامن" ومنذ ذلك اليوم لقب بالمنصور، وأصبحت الدولة الموحدية في قمة مجدها وقوتها[85].

لم يكتف المنصور بانتصاره العسكري، بل أعاد تنظيم الجيش الموحدي وأدخل فيه عناصر جديدة من الأندلس والمغرب، واهتم بالتسليح والتدريب وجعل الجيش على أهبة الاستعداد الدائم،على الصعيد العمراني، أتم المنصور بناء جامع الكتبية الذي بدأه والده من قبل،

84.مبارك بن محمد الميلي، 607.

85.جليد خولة ونوار نسيم، ركائز الانتصار والتمكينفي معركة الارك الكبرى، 591، مجلة البحوث التاريخية،المجلد08، ع.02، -82.106- 2024.94.

وبنى جامع إشبيلية الكبير، وبنى صومعة حسان الشهيرة التي تعتبر تحفة معمارية رائعة، وأنشأ الأسوار والأبواب الحصينة في المدن الكبرى لحمايتها من أي هجمات مستقبلية، أما على الصعيد العلمي والفكري، فقد بلغت الفلسفة والطب والفلك أوج ازدهارها في عهد المنصور، حيث كان ابن رشد في قمة شهرته وإبداعه، وكان ابن طفيل لا يزال حياً وكان ابن زهر الطبيب الأندلسي الكبير يمارس مهنته ويؤلف كتبه القيمة.

على الصعيد السياسي، اتبع المنصور سياسة حازمة تجاه الخوارج والمتمردين، فقمع ثورات بني غانية من بقايا المرابطين في المغرب الأوسط وإفريقية، وأخضع القبائل المتمردة في مختلف أنحاء الدولة.

توفي يعقوب المنصور سنة 595 للهجرة الموافقة لسنة 1199 للميلاد بعد أن حكم خمسة عشر عاماً، ليخلفه ابنه محمد الناصر الذي سيكون آخر الخلفاء الموحدين الكبار قبل أن تبدأ مرحلة الضعف والانحدار.

8.4 .سقوط الدولة الموحدية:

تولى محمد الناصر بن يعقوب المنصور الحكم بعد وفاة والده سنة 595هـ، وكان عمره حوالي عشرين عاماً فقط، مما جعله غير مؤهل لقيادة دولة مترامية الأطراف في مرحلة دقيقة من تاريخها، اذ لم يمض وقت طويل على توليه الحكم حتى واجه أكبر كارثة عسكرية في تاريخ الموحدين، كانت معركة العقاب نقطة تحول مصيرية في تاريخ الأندلس، لأنها فتحت الباب على مصراعيه أمام التوسع المسيحي، حيث استولى الإسبان والبرتغاليون على معظم المدن الأندلسية الكبرى واحدة تلو الأخرى، عاد محمد الناصر إلى مراكش محطم الروح والمعنويات، وترك الحكم لوزرائه وحاشيته الذين اختلفوا وتنازعوا على السلطة، مما زاد من ضعف الدولة وتفككها[86].

انفصلت الأندلس تماماً عن الدولة الموحدية، وتأسست فيها ممالك الطوائف الجديدة التي كانت تتنازع فيما بينها وتستغيث بالممالك المسيحية لحماية نفسها من جاراتها، مما سهل على

.نفس المرجع.86.640

الأسبان والبرتغاليين الاستيلاء على باقي الأندلس، كذلك انفصلت إفريقية (تونس) عن الدولة الموحدية وأسست فيها الدولة الحفصية، وانفصل المغرب الأوسط (الجزائر) وأسست فيه الدولة الزيانية، وانفصل المغرب الأقصى (المغرب) نفسه وأسست فيه الدولة المرينية[87].

يمكن حصر عوامل سقوط الدولة الموحدية في:

- الاعتماد على العصبية القبلية الضيقة، حيث قامت الدولة الموحدية في الأساس على عصبية قبيلة مصمودة التي استأثرت بالحكم والمناصب العليا، وأقصت باقي القبائل والأعراق، مما خلق حالة من الاستياء والتمرد بين هذه القبائل المهمشة التي كانت تنتظر الفرصة للانتقام من الموحدين؛
- التحول من الدعوة الدينية إلى الملكية الوراثية، حيث تحول الخلفاء الموحدون بعد عبد المؤمن من دعاة متزهدين إلى ملوك مترفين، وابتعدوا عن المبادئ التي قامت عليها دولتهم؛
- الصراع على الحكم داخل البيت الموحدي نفسه، حيث كان كل خليفة يموت تاركاً وراءه صراعاً دموياً بين أبنائه وإخوته على الخلافة، مما أضعف الدولة وألهى الخلفاء عن مواجهة الأخطار الخارجية؛
- ثقل الأعباء المالية على كاهل الدولة، حيث تحتاج إلى أموال طائلة، لتمويل جيشها الكبير وحملاتها العسكرية المتواصلة ومشاريعها العمرانية الضخمة؛
- التقدم المسيحي في الأندلس، حيث استغل الإسبان والبرتغاليون ضعف الموحدين وانشغالهم بصراعاتهم الداخلية، فشنوا حملاتهم العسكرية المتتالية واستعادوا المدن الأندلسية واحدة تلو الأخرى، وصولاً إلى معركة العقاب؛
- ثورات القبائل العربية (بني هلال وبني سليم) في إفريقية والمغرب الأوسط، والتي كانت تشكل تحدياً دائماً للموحدين بسبب ولائها المتقلب وتمردها المستمر؛
- ظهور دول مستقلة عن الدولة الموحدية، مثل الدولة الحفصية في تونس والدولة الزيانية في تلمسان والدولة المرينية في المغرب الأقصى، التي ساهمت بشكل كبير في تفككها وسقوطها النهائي.

87.عمار بوحوش، مرجع سابق.49.

تذكير: تعتبر الجزائر (المغرب الأوسط) هي "جوهر القوة" للدولة الموحدية؛ فمنها خرج القائد المؤسس (عبد المؤمن)، وفي سهولها (سطيف) دُجنت القبائل العربية لتصبح جزءاً من الجيش، وعلى سواحلها بُني الأسطول الذي سيطر على المتوسط.

5.الدولة الزيانية: 633هـ/1235م الى 962هـ/1554م.

تعد الدولة الزيانية (1556–1235م) واحدة من أهم الدول التي قامت في المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط، حيث حكمت المغرب الأوسط (الجزائر حاليًا) لأكثر من ثلاثة قرون، واتخذت من مدينة تلمسان عاصمة لها. أسس هذه الدولة بنو عبد الواد، وهم فرع من قبيلة زناتة الأمازيغية الكبيرة، واستطاعوا أن يبنوا كيانًا سياسيًا قويًا واجه تحديات كبرى من جارتيها: الدولة المرينية في المغرب الأقصى، والدولة الحفصية في تونس[88] .

تتمثل أهمية هذه الدولة في موقعها الجغرافي الذي جعلها حلقة وصل بين المشرق والمغرب، وبين أفريقيا جنوب الصحراء وأوروبا شمال البحر المتوسط. كما عرفت الدولة الزيانية ازدهارًا ثقافيًا وعلميًا كبيرًا، حيث اجتذبت العلماء والأدباء من مختلف الأقطار، وكانت تلمسان في عصرها منارة للعلم والثقافة في الغرب الإسلامي.

1.5. نسب الزيانيون:

ينتمي الزيانيون (بنو زيان أو بنو عبد الواد) إلى قبيلة زناتة، وهي إحدى أكبر وأشهر القبائل الأمازيغية في بلاد المغرب. وقد اختلفت المصادر القديمة حول أصلهم، حيث نسبتهم بعض المصادر إلى الأدارسة، إلا أن المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون فنّد هذه الرواية[89]، تعود تسمية "بني عبد الواد" إلى جدهم الأكبر عبد الواد، وهم من ولد يادين بن محمد بن رزجيك بن أسين بن ورسيك بن زناتة. وقد انقسم بنو عبد الواد إلى عدة بطون، من أهمها: بنو ياتكتن، بنو

88.رشيد بوروبة، مرجع سابق.359.360.

89.عبد الرحمان بن خلدون، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج07(بيروت: دارالفكر للنشر والطبع والتوزيع، 2000).07

وللو، بنو تومرت، بنو ورسطف، وبنو مصوجة، بالإضافة إلى بني القاسم الذين ينتمي إليهم الحكام الزيانيون[90].

2.5. الظروف السياسية لظهور الدولة

في أواخر العهد الموحدي، بدأت الدولة الموحدية تتهاوى وتدخل مرحلة الضعف والانقسام، فاستغل حكام الأقاليم هذه الظروف لإعلان استقلالهم، فظهرت ثلاث دول كبرى في المغرب الإسلامي: المرينيون في المغرب الأقصى، والزيانيون في المغرب الأوسط، والحفصيون في المغرب الأدنى[91].

كانت مدينة تلمسان في تلك الفترة تحت السيطرة المباشرة للموحدين، وكان واليها أبو سعيد عثمان يحاول الحد من نفوذ بني عبد الواد المتزايد في المنطقة، في عام 1229م، قام بإلقاء القبض على مشايخ بني عبد الواد، مما أثار غضب إبراهيم بن إسماعيل بن علان الصنهاجي، أحد رجال الحامية، الذي ثار واعتقل الوالي وأطلق سراح المشايخ، معلنًا الخروج عن طاعة الموحدين، تلت ذلك فترة من الصراع والاضطراب، تناوب خلالها عدة أمراء على حكم تلمسان، إلى أن استقر الأمر **ليغمراسن بن زيان** في عام 1235م، الذي يُعتبر المؤسس الحقيقي للدولة الزيانية[92]

3.5. يغمراسن بن زيان (1283-1235م) : مؤسس الدولة

يعد يغمراسن بن زيان الشخصية الأهم في التاريخ الزياني، فقد استطاع أن يبني دولة قوية في ظل ظروف بالغة الصعوبة، تميز يغمراسن بصفات قيادية فذة، فكان شجاعًا وحكيمًا ودبلوماسيًا بارعًا. تولى الحكم في فترة كانت فيها الدولة الموحدية تلفظ أنفاسها الأخيرة، فاستغل ذلك لتوسيع حدود دولته على حساب أقاليم الموحدين، استمر حكم يغمراسن حوالي 48

90.خالد بالعربي، تلمسان من الفتح الاسلامي الى قيام الدولة الزيانية، (قسنطينة:دار الألمعية للنشر والتوزيع،2011).208.

91.صالح فركوس، مرجع سابق.70.

92.عبد الرمحمان بن محمد الجيلالي، مرجع سابق،.128.

عامًا (1283–1235م)، وهي فترة طويلة مكنته من توطيد دعائم دولته وتأسيس نظم إدارية راسخة. ومن أبرز إنجازاته[93]:

- العمل على توحيد القبائل حيث تم إخضاع قبائل بني توجين ومغراوة وضمها إلى دولته؛
- توسيع الحدود غربًا حتى وادي ملوية، وشرقًا نحو بجاية.
- التحالفات الخارجية حيث أقام تحالفات مع أمير غرناطة وملك قشتالة ألفونسو العاشر لمواجهة التهديد المريني؛
- نظم الدولة اداري فاتخذ الوزراء والكتاب والقضاة، وأقام دولة على أسس متينة.

في عام 1248م، حقق يغمراسن انتصارًا كبيرًا على الخليفة الموحدي في معركة وجدة، والتي قتل فيها الخليفة الموحدي، وفي عام 1264م، تمكن من غزو سجلماسة، ليضع بذلك أهم منفذي التجارة عبر الصحراء (تلمسان وسجلماسة) تحت سلطة واحدة "سلطته المباشرة"[94].

4.5.أبو حمو موسى الثاني (1389–1359م)

بعد فترة من الاضطرابات والصراع مع المرينيين، بلغت الدولة الزيانية أوج قوتها وازدهارها في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني، الذي حكم لمدة ثلاثين عامًا (1359–1389م). يعتبر هذا العصر العصر الذهبي للدولة الزيانية، تميزت سياسة أبي حمو موسى الثاني بالتوسع في جميع الاتجاهات: غربًا نحو فاس عاصمة المرينيين، وشرقًا مد نفوذه إلى وادي الشلف وبجاية، وقام بقمع الثورات والمقاومة المحلية وفرض الأمن.[95]

كانت فترة حكمه مزدهرة علميًا وثقافيًا، حتى أن ابن خلدون عاش في تلمسان فترة من الزمن وساعده في المفاوضات مع القبائل العربية، ووصف تلك الفترة قائلاً: "هنا في تلمسان

93.رشيد بورويبة، مرجع سابق، 360.

94مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق.722

95رشيد بورويبة، مرجع سابق، 402.401.

تطورت العلوم والفنون بنجاح؛ هنا ولد العلماء والرجال البارزون، الذين امتد مجدهم إلى بلدان أخرى"[96]

5.5.صراع الزيانيين مع الدول المجاورة مع الدول المجاورة:

1. الموقع الجغرافي بين الحفصيين والمرينيين

شكل الموقع الجغرافي للدولة الزيانية تحديًا كبيرًا، حيث حوصرت بين دولتين قويتين، هما الدولة المرينية في الغرب، والدولة الحفصية في الشرق. وكانت الحدود في حالة مد وجزر مستمرة حسب نتائج الحروب والتحالفات، تميزت السياسة العامة لدول المغرب الإسلامي الثلاثة بمبدأ المحافظة على التوازن وعدم السماح لأي دولة بالانفراد بالسيادة، فكثيرًا ما كان المرينيون والحفصيون يتحالفون ضد الزيانيين على الرغم من علاقات المصاهرة أحيانًا[97]

المملكة الزيانية بين القرنين: 13و16م

96عبد الرحمان بن خلدون، مرجع سابق.07.

97. صالح فركوس، مرجع سابق، 70.

2: الحروب مع المرينيين

كانت الدولة المرينية ألد أعداء الزيانيين، فقد شنوا عدة حملات عسكرية على تلمسان بهدف القضاء على الدولة الزيانية وضم المغرب الأوسط إلى ممتلكاتهم. من أبرز هذه الحروب:

حصار المنصورة (1299-1307م): حاصر السلطان المريني أبو يعقوب يوسف الناصر تلمسان لمدة ثماني سنوات كاملة (699-706هـ)، حيث بنى مدينة جديدة أسماها "المنصورة" حول تلمسان لقطع الإمداد عنها، استمر الحصار حتى مقتل أبي يعقوب عام 1307م، فرفع الحصار ودمر الزيانيون مدينة المنصورة[98].

احتلال تلمسان: في عام 1337م، تمكن السلطان المريني أبو الحسن من احتلال تلمسان بعد حصار طويل، وقُتل السلطان الزياني أبو تاشفين الأول أثناء القتال، ظلت تلمسان تحت الاحتلال المريني حتى عام 1348م. وبعد 04 سنوات، استعاد أبو عنان فارس تلمسان في عام 1352م، وضم المغرب الأوسط إلى دولته، ثم تمكن من السيطرة على بجاية سنة 1353م وتونس سنة 1357م، لكن وفاته في عام 1358م أدت إلى انسحاب المرينيين وعودة الدولة الزيانية[99].

3.العلاقات مع الحفصيين

تأرجحت العلاقات بين الزيانيين والحفصيين بين التحالف والصراع، ففي بعض الفترات كانوا حلفاء ضد المرينيين، وفي فترات أخرى كانوا خصومًا يتنافسون على السيطرة على المدن الجزائرية الشرقية، كثيرًا ما استغل الحفصيون انشغال الزيانيين بالمرينيين للتوسع غربًا والسيطرة على مدن حدودية، في عام 1329م، تمكن الزيانيون تحت قيادة أبي تاشفين الأول

98. رشيد بورويبة، مرجع سابق، 374.
99. نفس المرجع، 379.376

من تحقيق انتصار كبير على الحفصيين، حيث حاصروا بجاية وأرسلوا جيشًا إلى تونس هزم الملك الحفصي واحتلوا تونس مؤقتًا[100]

5.5.النظام الإداري والعسكري

1.التنظيم الإداري والسياسي

أقام الزيانيون نظامًا إداريًا متمركزًا حول العاصمة تلمسان، وكان على رأس الدولة "السلطان" الذي كان يُلقب أحيانًا بـ "أمير المؤمنين". وقد أسس يغمراسن بن زيان الوزارات والإدارات المختلفة، فاتخذ الوزراء للشؤون السياسية والمالية، والكتاب للتسجيل والتوثيق، والقضاة للفصل في الخصومات، اعتمدت الدولة في إدارة المناطق المدنية والعسكرية على نظام الولايات، حيث كان يعين والٍ على كل إقليم، ويتبع الوالي عدد من العمال والقادة للإشراف على المدن والقبائل، وكانت القبائل العربية والبربرية تحتفظ بنوع من الاستقلالية الذاتية في إدارة شؤونها الداخلية، مقابل دفع الضرائب وتقديم المساعدة العسكرية عند الحاجة.[101]

2.التنظيم العسكري

اعتمد الجيش الزياني على نظام القبائل، حيث كان كل زعيم قبلي يقدم بفرسانه وجنوده عند الاستنفار والتعبئة، كما عرف الزيانيون استخدام فرق من المرتزقة في بعض الفترات، خاصة من الأندلسيين، بلغ الجيش الزياني قوته في عصور الازدهار، حيث تمكن من تحقيق انتصارات كبيرة على المرينيين والحفصيين، واستطاع الدفاع عن تلمسان في وجه حصار دام ثماني سنوات. وقد عرف الزيانيون بالاعتماد على سلاح الفرسان الخفيف الذي يتناسب مع طبيعة المنطقة الجبلية والصحراوية.

3. مظاهر الحضارة الزيانية:

1.3. الزراعة

100.نفس المرجع،331.

101.صالح فركوس، مرجع سابق.71.

اهتم الزيانيون بالزراعة بشكل كبير، حيث أولوها عناية خاصة لتوفير الاكتفاء الذاتي من الغذاء. ومن أبرز مظاهر اهتمامهم بالزراعة، استخراج المياه الجوفية وحفر الآبار والقنوات للري.**إقامة السدود** لتجميع مياه الأمطار واستخدامها في الزراعة.**تنويع المنتجات الزراعية،** فزرعت الحبوب والفواكه والزيتون وغيرها، كما اشتهروا بتشييد البساتين والحدائق حول المدن وفي داخلها، وساهمت هذه السياسة الزراعية في ازدهار الاقتصاد الزياني وتحقيق فائض غذائي دعم النمو السكاني والتحضر[102].

2.3. الصناعة

عرفت الدولة الزيانية ازدهارًا صناعيًا كبيرًا، واشتهرت بالعديد من الصناعات، منها، صناعة السفن، حيث أولت الحكومة الزيانية عناية خاصة لصناعة السفن التجارية والحربية، كما اشتهرت تلمسان والأوراس بصناعة النسيج والسجاد والزرابي الفاخرة. ودلّ تطور صناعة الأدوية على مدى تقدم الكيمياء والطب في تلك الفترة.

تطورت صناعة الأسلحة لتلبية حاجات الجيش في الحروب المتواصلة،برع الحرفيون الزيانيون في صناعة الأحذية والأثاث والتطريز،هذه الصناعات التي وجدت أسواقًا داخلية وخارجية،وقد ساعد على ازدهار الصناعة توفر اليد العاملة الماهرة، خاصة من المهاجرين الأندلسيين الذين جلبوا معهم خبرات كبيرة في مختلف الحرف[103].

3.3. التجارة: سك الزيانيون العملة الخاصة بهم، وكان الدينار الوحدة النقدية الأساسية. وقد نقش على العملات أسماء السلاطين الزيانيين وألقابهم، إلى جانب عبارات دينية كالشهادتين. وقد استمر الضرب"السك" في عاصمتهم تلمسان حتى نهاية دولتهم

كانت تلمسان في العهد الزياني مركزًا تجاريًا رئيسيًا في غرب البحر المتوسط، بفضل موقعها الاستراتيجي الذي يربط بين الشمال والجنوب، وبين المشرق والمغرب. تعامل الزيانين تجاريا مع دول شمال البحر المتوسط، (إيطاليا، فرنسا، إسبانيا، وغيرها)، ودول جنوب

---

102. مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق.756.

103.نفس المرجع، 757.

الصحراء عبر طريق تجارة الذهب والملح والرقيق، ومع الجارتين الشرقية "الحفصية" والغربية "المرينية"[104].

4. الحركة العلمية والثقافية

1.4. المدارس: اهتم الزيانيون بالعلم والثقافة اهتمامًا كبيرًا، وأنشأوا العديد من المدارس التي وصفها الحسن الوزان بأنها "حسنة جيدة البناء، مزدانة بالفسيفساء وغيرها من الأعمال الفنية". ومن أشهر هذه المدارس[105]:

- مدرسة ولدي الإمام:بناها السلطان أبو حمو موسى الأول، وسميت بذلك نسبة إلى الأخوين "ابني الإمام" اللذين أكرمهما السلطان وبنى لهما هذه المدرسة؛
- المدرسة التاشفينية:بناها عبد الرحمن أبو تاشفين بجانب الجامع الأعظم، وعين بها مدرسين من كبار العلماء، وكانت تحفة فنية رائعة؛
- المدرسة اليعقوبية:أسسها السلطان أبو حمو موسى الثاني على ضريح والده يعقوب وعميه، وأكثر عليها الأوقاف.

2.4. المساجد والزوايا

لم يقتصر التعليم على المدارس فقط، بل شمل المساجد والزوايا التي كانت مراكز علمية مساعدة ومكملة للمدارس. ومن أبرز المساجد الزيانية الباقية حتى اليوم:

- مسجد سيدي أبي الحسن: أسسه السلطان أبو سعيد عثمان تخليدًا لذكرى الأمير أبي إبراهيم ابن يحيى يغمراسن؛
- مسجد سيدي الحلوي: يتميز بجمال عمارته وتناسقه، ويشبه في تصميمه جامع قرطبة.

104.نفس المرجع، 758.

105.نفس المرجع، 763.762.

3.4. العلماء والإسهامات الثقافية

اجتذبت تلمسان في العصر الزياني العلماء والأدباء من مختلف الأقطار، وبرز فيها العديد من الفقهاء والمؤرخين والشعراء، وقد وصف العلامة ابن خلدون نظام التعليم في تلمسان بأنه "يغذي الملكة، ويقرب المفهوم".عاش ابن خلدون نفسه في تلمسان فترة من الزمن، وشارك في الحياة السياسية والعلمية فيها، وقد كان للحركة العلمية في تلمسان دور كبير في نقل العلوم والمعارف بين المشرق والمغرب، وجعلت من المدينة ملتقى طلاب العلم من مختلف الأقطار.

4.4. التركيبة السكانية: تألف المجتمع الزياني من خليط سكاني متنوع:[106]

- الأمازيغ: كانوا الغالبية العظمى من السكان، ويتوزعون بين قبائل زناتة (أقارب الحكام) وقبائل أخرى مثل صنهاجة ومغراوة؛
- العرب: تواجدت قبائل عربية في المناطق المختلفة، خاصة بعد هجرات بني هلال وبني سليم؛
- الأندلسيون: أسهمت هجرات الأندلسيين في إثراء المجتمع الزياني ثقافيًا وحضاريًا؛
- اليهود:عاش اليهود في المدن الزيانية في ظل حماية الحكام، وشاركوا في الحياة الاقتصادية.

وتميز المجتمع الزياني بالتدرج الطبقي[107]:

- الطبقة الحاكمة:السلطان وأسرته وكبار الموظفين والقادة العسكريين.
- العلماء والفقهاء: احتلوا مكانة مرموقة في المجتمع.
- التجار والحرفيون::شكلوا الطبقة الوسطى المزدهرة.
- الفلاحون والرعاة:الغالبية العظمى من السكان.
- العبيد والخدم:كانوا في أدنى السلم الاجتماعي.

106

107.عبد الرحمان ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تحقيق ايهاب محمد ابراهيم، (القاهرة: مكتبة القرآن، 2006).184.

عرفت المدن الزيانية، خاصة تلمسان، حياة حضرية راقية، حيث انتشرت الأسواق والحمامات والمساجد والمدارس، وكانت المنازل تتميز بالهندسة الأندلسية ذات الأفنية الداخلية والنوافير، كما اشتهرت تلمسان بالحدائق والبساتين التي أحاطت بها، مما أكسبها لقب "لؤلؤة المغرب الإسلامي، أما البدو، فقد عاشوا حياة الرعي والترحال، متنقلين بين المراعي في المناطق الجبلية والصحراوية، محتفظين بعاداتهم وتقاليدهم القبلية.

5. الانحدار وسقوط الولة الزيانية

بدأت الدولة الزيانية تدخل مرحلة الضعف والانحدار منذ أواخر القرن الرابع عشر الميلادي، وذلك لعدة عوامل داخلية وأخرى خارجية[108]:

- الصراعات على الحكم بعد وفاة أبي حمو موسى الثاني عام 1389م، انشغل أبناؤه وأحفاده بالصراع على السلطة، مما أضعف الدولة؛
- ضعف السلاطين المتأخرين، حيث لم يمتلك سلاطين الفترة المتأخرة كفاءة أسلافهم في الحكم والقيادة؛
- كثرة الثورات القبلية ضد السلطة المركزية؛
- انقسام القبائل بين مؤيد ومعارض للحكم؛
- استمرار التهديد المرينيعلى الرغم تراجع قوة المرينيين، استمرت المناوشات على الحدود الغربية؛
- تدخل الحفصيين في شؤون الزيانيين، وساعدوا على اذكاء الفتن وإشعال الحروب الأهلية؛
- سيطر القراصنة الإسبان والإيطاليون على خيرات المناطق الساحلية، مما أثر سلبًا على الاقتصاد؛
- سيطر الإسبان على عدة مدن ساحلية جزائرية، مما زاد من ضعف الدولة الزيانية؛
- بدأ النفوذ العثماني يظهر في الجزائر بقيادة خير الدين بربروس؛
- تمكن العثمانيون من السيطرة على تلمسان، لتسقط بذلك آخر معاقل الدولة الزيانية، وإن استمر وجود رمزي لبعض الأمراء حتى عام 1554م.

---

108. مبارك بن محمد الميلي،761.760.

للتذكير:

يبقى الزيانيون جزءًا أساسيًا من الذاكرة التاريخية للجزائر، حيث شكلت دولتهم إحدى الحلقات المهمة في سلسلة الحضارة الإسلامية بالمنطقة. وما زالت معالمهم الحضارية قائمة تذكرنا بعصر من أزهى عصور الجزائر علمًا وثقافة وحضارة

المحور الثالث: الجزائر في العصر الحديث

الجزائر في ظل الحكم العثماني:

بنهاية القرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر وبالتحديد بعد سقوط غرناطة سنة 1492م وإكمال حرب الاسترداد، تحولت إسبانيا إلى قوة بحرية كبرى تحت قيادة الملك فرديناند وزوجته إيزابيلا، ثم الملك كارلوس كوينتو المعروف باسم شارلكان"شارل الخامس"، تبنت إسبانيا سياسة توسعية عدوانية في شمال إفريقيا وخاصة الجزائر، حيث احتلت المرسى الكبير سنة 1505م ثم وهران سنة1509م وبعدها سنة1510م احتلت بجاية وطرابلس الغرب[109].

مقابل هذه الانجازات الاسبانية كنتيجة لانتشاء المسيحية بحرب الاسترداد وصعود نزعة التوسع والملاحقة للمسلمين في شمال افريقيا، كانت هناك قوة اسلامية عثمانية بقيادة السلطان سليم الأول ثم السلطان سليمان القانوني يبسطون نفوذهم على المشرق العربي ومصر سنة 1517م وشرق المتوسط، ويسعون لمد نفوذهم غربًا لمواجهة الهيمنة الإسبانية ولحماية طرق التجارة والحج.

خلق احتكاك القوتين في المتوسط وشمال افريقيا بؤرًا استراتيجية للقرصنة/للجهاد التي كانت تمارسها القوى الأوروبية والعثمانية على حد سواء، وكانت السيطرة على اهم المدن والموانئ والتي تعني التحكم في طرق الملاحة والتجارة المتوسطية[110].

أولاً: الجزائر قبل النجدة العثمانية

1. الأوضاع السياسية: كانت الجزائر قبل 1516 مفككة سياسيا بسبب ضعف الدولة المركزية "الدولة الزيانية" في تلمسان وضواحيها، وكان ذلك محصلة للنزاعات المتكررة على الغرش بين افراد الاسرة المالكة، وحتى تحالف بعضهم مع الاسبان لترجيح كفة الغلبة، وتحولت بعض المدن الى امارات مستقلة، كما كان الشأن في مدينة الجزائر تحت حكم بني مزغنة بقيادة

109.عمار بوحوش، مرجع سابق.59.

110.مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق، ج.الرابع.19.

سالم التومي، وفي قسنطينة وبجاية ووهران، مما سهل سقوط بعض هذه وموانئها بيد الاسبان بقيادة الكاردينال خيمينيت والملك فرناندو ابتداء من 1505م.

يضاف الى ذلك التحرشات والهجمات المتكررة على البلاد من الشرق من طرف الحفصيين ومن الغرب من طرف المرينيين، في ظل هذا السياق المتردي تولت الزوايا ومشايخ الطرق الصوفية تنظيم المقاومة ضد المتربصين بالبلاد من الجهات الثلاث، شرقا وغربا وشمالا، وتطور حراك الجهاد والمقاومة امام الضعف وغياب دولة مركزية تنظم وتقود اضطر قادة الزوايا والطرق الصوفية الى مراسلة الأخوين عُروج وخير الدين طلبا للنجدة لفك الحصار الاسباني على مدينة الجزائر[111].

2 .الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية: لم تكن الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية احسن حالا من الأوضاع السياسية، اذ تراجعت التجارة البحرية بسبب سيطرة الإسبان على الموانئ،مما بدفع السكان إلى الجهاد البحري كرد فعل على العدوان الإسباني، وبداية تنامي دور "الأندلسيين" (المسلمين واليهود المطرودين من إسبانيا) في الحياة الاقتصادية والثقافية

ثانياً: النجدة العثمانية وانضمام الجزائر إلى الإمبراطورية العثمانية: استجاب السلطان العثماني لرسالة اهالي مدينة الجزائر واعطيت الأوامر لأسطول بحر ايجة المرابط حول جزيرة ميديلي "ليسبوس" باليونانية الحالية[112] والذي كان يقوده الاخوة الأربعة الذين غيروا الواقع الجيواستراتيجي بالبحر المتوسط وهم على التوالي[113]:

- عُروج بربروس: المعروف باسم "بابا عروج" القائد الأول للأسطول واول من استجاب ولبى النداء وواجه الاسبان في معارك طاحنة بالمرسى الكبير ووهران وبجاية، واستشهد في معركة ضد الاسبان في تلمسان؛
- خضر بن يعقوب: المعروف باسم خير الدين بربروس وعُرف كذلك باسم خسرف والتي تعني العظيم، تولى القيادة بعد استشهاد اخيه عروج، وهو الذي جعل الجزائر

111.عمار بوحوش، مرجع سابق.60.

112 .محمد دراج، مذكرات خير الدين بربروس،(الجزائر: دار الأصالة للنشر والتوزيع،2013).261.

113عبد العزيز سليمان نوار، الشعوب الاسلامية: الأتراك العثمانيون، الفرس، مسلمو الهند،(بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1973).119.118.

تلتحق بالامبراطورية العثمانية كايالة، كما يعود له الفضل في وضع الاسس الأولى في بناء الأسطول البحري الجزائري؛

- اسحاق بربروس: قدم مساعدة لأخويه في معارك تحرير جيجل ومدينة الجزائر وتوطيد اركان الدولة، استشهد مع اخيه عروج في معركة تلمسان؛
- الياس بربروس: هو اصغر اخوته وعلى الرغم من استشهاده المبكر الا انه ساهم في بداية النشاط الجهادي في شرق المتوسط وفي بناء القوة البحرية للأخوة والتي كان لها دور بارز في نجدة الجزائر.

ثالثا: وصول اسطول الاخوة عروج وبداية التحرير (1516-1518):

وصل عروج وخير الدين إلى مدينة الجزائر بدعوة من أهلها سنة 1516م، وتمكنا من طرد الإسبان من جزيرة "بينيون" التي كانت تشكل تهديدًا مباشرًا للمدينة، وفي نجدتهم لأهالي تلمسان في السنة الموالية 1517م استشهد عروج أثناء معركة تلمسان ضد الإسبان وحلفائهم من بني زيان، وبفقدان القائد الفذ عروج واستفحال التحرش الاسباني والمريني والحفصي من جهة ثانية، وأدرك خير الدين أن استمرار المقاومة يتطلب دعمًا خارجيًا قويًا، وبعد استشارة الأهالي كانت الوجهة الى الدولة العثمانية سنة 1518م، والتي نفذت رسميا سنة 1519م، حيث سافر وفد من أعيان الجزائر إلى إسطنبول برفقة خير الدين، وتم الاتفاق على[114]:

- تقديم الولاء للسلطان سليم الأول؛
- اعتراف السلطان بخير الدين حاكمًا للجزائر برتبة بايلرباي "امير امراء افريقيا"؛
- إرسال الدعم العسكري العثماني (إنكشارية، مدفعية، سفن)؛
- اعراب اهالي الجزائر عن رغبتهم الى الخلافة العثمانية.

تم هذا التحالف ضمن رؤية عثمانية أوسع لتأمين غرب البحر المتوسط وجعل الجزائر قاعدة انطلاق للجهاد البحري ضد الإسبان.

114.محمد دراج، المرجع السبق،271.270..

رابعا: نظام الحكم والإدارة في الجزائر: مر نظام الحكم في الجزائر بعد انضمامها للإمبراطورية العثمانية بأربعة مراحل هي[115]:

1. **مرحلة البايلربايات (1518-1588):** تعتبر هده المرحلة أزهى عصور الحكم العثماني في الجزائر، لما عرفته البلاد من تطور وازدهار اقتصادي وعمراني وتعليمي، إضافة إلى شيء من استتباب الأمن والاستقرار السياسي، وساهم في ذلك التعاون والتواصل بين القيادة السياسية البايلربايات ومختلف فئات المجتمع من جهة والقيمة المضافة لمهاجري الأندلس في الصنائع والمهن، ومن مميزات هذه المرحلة ما يلي[116]:

- تعيين البايلربايات "حكام الجزائر" من طرف السلطان العثماني؛
- احتكرت التعيينات على مستوى القيادة والسلطة المركزية من طرف رياس البحر؛
- تحرير الكثير من الموانئ والمدن من الاحتلال الاسباني، على غرار برج الفنار بمدينة الجزائر سنة 1529م وبجاية سنة 1555م وتونس سنة 1574م؛
- ازدهار اقتصادي واستقرار سياسي وبدية تنامي القوة البحرية الجزائرية وتزايد نشاطها المطرد في البحر المتوسط.

2. مرحلة حكم الباشوات (1588-1659): بعد احتدام الصراع بين البايلربايات وفئة "اليولداش"[117] حول من يستأثر بالحكم والألقاب وتأثير ذلك على السلطة وهيبة الدولة، قرر السلطان العثماني إلغاء رتبة بايلرباي وتعويضها برتبة "باشا" وتحديد فترة الحكم بثلاث سنوات، حيث يرسل الباشا من اسطنبول إلى الجزائر ثم يُستدعى بعد انتهاء فترة حكمه، ويُعين بدله باشا جديد، ولكون فترة الحكم قصيرة وعلم الباشا بعزله بعد ثلاثة سنوات انصرف الباشوات إلى خدمة أغراضهم ومصالحهم وأهملوا شؤون البلاد والعباد، مما دفع باليولداش الى الثورة ضدهم، واهم ما ميّز هذه المرحلة ما يلي[118]:

115عمار بوحوش، مرجع سابق.64.65.66.

116.صالح فركوس، مرجع سابق.80.81.82..

117 .اليولداش: مصطلح تركي يعني رفيق او صديق، او النضال المشترك، ارتبط المصطلح بالبنية العسكرية العثمانية، وتصف الرفقة في السلاح في مظام الفيالق الانكشارية.

118.نفس المرجع، 90.

– فصل القيادة السياسية الحاكمة بتعيين باشا حاكما على الجزائر وآخر حاكما على تونس وثالثا حاكما على ليبيا بعد أن كانت كل المنطقة تدار من طرف حاكم واحد مقره بمدينة الجزائر؛

– تزايد الخلافات بين أفراد البحرية الجزائرية وأفراد البحرية العثمانية بسبب المصالح والنزعة الاستقلالية للبحرية الجزائرية؛

– تزايد قوة وسمعة البحرية الجزائرية وبأس رياسها وبحارتها إلى مستوى مقلق ومربك للدول الأوربية، التي أصبحت تخشى الجزائر وانعكس ذلك على علاقاتها معها والتي تأرجحت بين السلم والحرب؛

– ثورة اليولداش على رياس البحر لتميزهم وسمو مكانتهم واستئثارهم بالغنائم مما اضعف السلطة الحاكمة والانقلاب على الباشوات.

3. مرحلة الآغوات (1659-1671) : هي اقصر فترات الحكم وفيها انقلب الليولداش "قادة الجيش البري" على الباشوات وأبعدوهم من الحكم وحلوا محلهم بألقاب جديدة "الآغوات" في هذه الفترة أشرك الآغاوات في الحكم من باب الاستعانة والاستشارة، بمجلس الديوان العسكري وممثلين من فئة الرياس وبعض كبار الموظفين ومفتي الجزائر، وحددت فترة حكم الآغا بسنتين مما أدى إلى استفحال عمليات العزل والانقلابات، حيث كانت بعض فترات الحكم لا تتعدى الشهرين أحيانا، ونتيجة لذلك انتشرت الفوضى وأهمل الشأن العام، مما دفع برياس البحر إلى إبعاد الأغوات من الحكم. وكان أهم ما ميّز هذه الفترة ما يلي[119]:

– قطع السلطان العثماني للمساعدات عن الجزائر بسبب الصراعات السياسية والعسكرية السالفة، وتعزيز سيادة الجزائر واستقلاليتها عن الدولة العثمانية؛

– استفحال الصراع بين ضباط الجيش البري ونظرائهم في البحرية مما فاقم من الفوضى والفساد؛

– نجاح الآغوات في تعزيز استقلالية الجزائر عن الدولة العثمانية لكنهم فشلوا في ترسيم نظام سياسي مستقر وديمقراطي؛

– شكل الانقلاب على الباشوات وحكمهم سبيلا للنيل من رياس البحر المقربين من الحكام.

---

119. عمار بوحوش، مرجع سابق،66.

4. عصر الدايات (1830-1671): يعتبر هذا العصر الأول زمنيا والأكثر تميزا من حيث الأحداث والانجازات، فيه أصبح حاكم الجزائر ينتخب في الجزائر من طرف مجلس الديوان "بمثابة برلمان في وقتنا الحالي" بعيدا عن أي تدخل من السلطان العثماني، وأصبحت الخلافة العثمانية شكلية وصورية " إصدار مراسيم تعيين الحكام بعد انتخابهم والدعاء للسلطان العثماني على المنابر والتعاون أثناء الحروب بقرار من الجزائر". واهم ما ميّز هذا العصر ما يلي[120]:

- اكتمال سيادة الجزائر واستقلال قرارها السياسي؛
- بناء جيش منظم وقوي ودخول الأسطول البحري عصره الذهبي؛
- استقلال خزينة الدولة وسك العملة باسم الدولة الجزائرية؛
- تعيين سفراء الجزائر واستقبال البعثات الدبلوماسية؛
- إبرام المعاهدات الدولية واتفاقيات السلم وإعلان الحرب؛
- القضاء النهائي على الوجود الاسباني في الجزائر بتحرير وهران والمرسى الكبير سنة 1792م؛

-على الرغم من الثروات وغنى خزينة الدولة من الغنائم والاتاوات افتقر الحكام للنظرة الإستراتيجية بضخ ذلك في التنمية لإحداث نهضة شاملة على غرار ما كان يحدث في أوربا؛

- اختلال ميزان القوة بين الجزائر والدول الأوربية في نهاية هذا العصر مما أدى تحالفات اوربية مسيحية ضد الجزائر والدولة العثمانية؛

-تحطم الأسطول الجزائري في معركة نفارين باليونان سنة 1827م مما هيأ الظروف لفرنسا لغزو الجزائر.

خامسا: التنظيم الاداري للجزائر في العهد العثماني: بناء عل ما سبق وبصفة اجمالية لم تكن الجزائر في كل مراحل الحكم السابقة كمقاطعة عثمانية بالمعنى السياسي والإداري والعسكري، وإنما كان الأمر اقرب إلى ارتباط شكلي ومعنوي[121]، ففي كل مراحل الحكم السابقة كان حكام الجزائر في علاقاتهم واتفاقياتهم وحروبهم يتعاملون مباشرة مع الدول

---

120. نفس المرجع، 68.67.

121 .مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق،81.80.

الأوربية دون الرجوع إلى السلطان العثماني، وبالمقابل من الجهة الأخرى كان الأوربيون يتعاملون مباشرة مع الجزائر دون المرور بالدولة العثمانية[122].

على المستوى الداخلي قسمت الجزائر إلى مقاطعات إدارية لتسهيل عملية التسيير وإدارة الشؤون الإقليمية والمحلية وهي كالآتي:

* **دار السلطان:** مقاطعة إدارية مركزية تضم مدينة الجزائر العاصمة وما جاورها، وهي المقر الرئيس للداي، تمتد من دلس شرقا إلى شرشال غربا والى حدود بايلك التيطري جنوبا؛
* **بايلك الشرق:** عاصمته مدينة قسنطينة وهو اكبر المقاطعات الإدارية مساحة يمتد من الحدود الجزائرية التونسية شرقا إلى منطقة تيزي وزو غربا، ومن البحر المتوسط شمالا إلى أقاصي الصحراء جنوبا، وهو المقر الرئيس للباي.
* **بايلك الغرب:** كانت عاصمته مازونة ثم معسكر ثم وهران بعد تحريرها واستردادها من الأسبان سنة 1792م، وتمتد من وادي ملوية الحد الطبيعي بين الجزائر ومراكش "الاسم الرسمي للمغرب الأقصى قبل الاستقلال سنة 1956م" إلى ولاية التيطري شرقا، ومن البحر المتوسط شمالا إلى أعماق الصحراء جنوبا.
* **بايلك التيطري:** وهو اصغر المقاطعات الإدارية وكانت عاصمته مدينة المدية.

سادسا:التنظيم السياسي: خلال فترة التحاق الجزائر بالخلافة العثمانية استطاعت الدولة الجزائرية أن تستعيد مدنها وموانئها المحتلة من طرف الأسبان وتبسط سيطرتها وهيمنتها بكل سيادة على الحوض الغربي للبحر المتوسط، كما رسمت حدوده الشرقية مع ايالة تونس وطرد المرينيين إلى ما وراء وادي ملوية "الحد الطبيعي بين الجزائر ومملكة مراكش منذ ما قبل الميلاد"، وبسط نفوذها إلى أقاصي الصحراء حيث القبائل والأقاليم التي تدين بالولاء للدولة الجزائرية آنذاك، وهي الحدود التي رسمها الاستعمار الفرنسي مع النيجر، مالي وموريتانيا.

122ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية. (الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.1979)، 22.

على الرغم من التغيرات الطفيفة التي كانت تطرأ على الجهاز السياسي والمؤسسات السياسية، إلا أنها حافظت على شكلها العام إلى غاية فترة حكم الدايات " رياس البحر" والتي كانت كالآتي[123]:

1.الداي: هو رئيس الدولة والقائد الأعلى للجيش، يضطلع بمختلف الشؤون السياسية للدولة داخل البلاد وخارجها، كتطبيق القوانين المدنية والعسكرية والسياسات القطاعية للشأن العام، ، يختار حكام البيالك والوزراء ويعينهم، ويشرف على خزينة الدولة ومختلف إيراداتها، يبرم ويوقع الاتفاقيات الدولية ويستقبل السفراء والقناصل، ويعلن الحرب ويبرم معاهدات السلام.

كان دايات الجزائر[124] يتبعون تقاليد سياسية واجتماعية صارمة في كيفية انتخابهم والتزامهم بخدمة الدولة الجزائرية، وكيفية تقسيم اوقاتهم بين العمل الرسمي وحياتهم العائلية، واستقبال المواطنين والنظر في الشكاوي والمظالم التي تعرض عليه، ترخص التقاليد للداي لقبول الهدايا من البيايلك وكبار الموظفين، ونصيبه من الغنائم البحرية وهدايا قناصل وسفراء الدول الأجنبية، وكان ما يجمعه الداي من أموال يُحوّل بعد وفاته إلى خزينة الدولة.

2.مجلس الديوان: بمثابة مجلس الوزراء في وقتنا الحالي، وهو المجلس المعزز لقوة الداي يضطلع بتنفيذ سياسة الدولة، يضم 35 شخصية مدنية وعسكرية بالإضافة الى القاضي والمفتي، ويجتمع يوميا للنظر في شؤون ومسائل الشأن العام كالمسائل المالية والعدالة والأمن

123عمار بوحوش، مرجع سابق.70.

124دايات الجزائر بالترتيب: الحاج باشا (1682-1671)-بابا حسين باشا (1683-1682)- الحاج حسين باشا ميزومورتو(1688-1683) – الحاج شعبان باشا (1695-1688) – الحاج احمد باشا (1698-1695) – حسين باشا الشاوش (1700-1698) – الحاج مصطفى باشا (1705-1700) – حسين خوجة باشا (1707-1705) – محمد بقطاش باشا (1710-1707)- علي باشا شاوش (1718-1710) – محمد بن حسن باشا (1724-1718) – كرد عبدي باشا (1733-1724) – ابراهيم باشا (1745-1733) – ابراهيم باشا كوجوك (1748-1745) – محمد بكير باشا (1754-1748) – علي باشا ملمولي "بوصبع" (1766-1754) – محمد عثمان باشا (1791-1766) – حسن باشا (1798-1791) – مصطفى باشا (1805-1798) – احمد باشا (1808-1805) – علي باشا الغسال (1809-1808) – الحاج علي باشا (1815-1809) – عمر باشا (1817-1815) – علي خوجة (1817-1818) – حسين باشا (1830-1818).

ويجتمع دوريا يوم السبت للنظر في المسائل المهمة والحيوية، ومن أهم الرتب والمناصب ما يلي[125]:

* **الخزناجي:** بمثابة وزير المالية، مسؤول عن خزينة الدولة؛
* **الآغا:** قائد الجيش البري بكل فرقه " الانكشارية، الخيالة العرب والمتطوعون"؛
***خوجة الخيل:** مشرف ومسؤولا عن أملاك الدولة ويتواصل مع القبائل والعروش لجمع الضرائب والاستثمار وإدارة أملاك الدولة؛
***بيت مالجي:** ادارة الشؤون والمسائل المتعلقة بالمواريث والاملاك المصادرة وتسييرها وتحويلها الى خزينة الدولة؛
***وكيل الخرج:** مكلف بالشؤون الخارجية والشؤون البحرية والعلاقات مع الدول وشؤون التسليح؛
***الباش كاتب:** هو الأمين العام للحكومة، يصيغ القرارات التي يتخذها الديوان ويسجلها، ويشرف الباش كاتب بدورة على مجموعة من الكتاب والموظفين السامين، كالكاتب الخاص بمراسلات الداي الداخلية والخارجية، والكاتب المسؤول عن سجلات الجند، والكاتب المتابع لسجلات اموال الدولة، والكاتب المكلف بسجلات ايرادات الدولة، هذا بالاضافة الى رئيس التشريفات المكلف بالبروتوكول والتواصل مع الداي والشخصيات التي يستقبلها، وهناك منصب الكاخيا والخزنذار المكلفان بمال الخزينة وحراستها، وهناك الحكيم باشا رئيس اطباء قصر الداي، واخيرا الشاوش وهو الواقف على باب قصر الداي.

3. **الباي:** حاكم المقاطعة الادارية "البايليك" يعادل الوالي في وقتنا الحالي، يقوم بادارة شؤون اقليمه نيابة عن الداي، يتم اختيارة من بين اعلى الشخصيات واكفئها لمدة ثلاث سنوات، يتمتع الباي بهامش كبير من الحرية في ادارة شؤون مقاطعته، لكن لن يتأخر عن موعد ارسال "الدنوش"[126] والذي يجب ان يكون وفيرا جدا لنيل قربة الداي ورضاه والأمل في تجديد عهدة الحكم، هذه الأخيرة وعند نهايتها ينتقل الباي شخصيا الى العاصمة محملا بالهدايا للداي وحينها

125جمال قنان، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث: 1500-1830.(الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة،1987).106.107.

126 الدنوش: مصطلح إداري ومالي يعود إلى فترة الحكم العثماني في الجزائر وهو عبارة عن ضريبة العوائد المالية التي يدفعها باي البايليك سنويا وفي موعدها الى خزينة الدولة المركزية.

يخضع لإمتحان محاسبة حقيقي، وعلى حسب النتائج قد يُجدد العهد للباي، وقد يُعزل، ويمكن ان يحوّل الى السجن ان ثبتت بحقه اخطاء وتجاوزات.

يستعين الباي في ادارة شؤون مقاطعته بعدد من الموظفين[127]:

- **الخليفة:** ينوب عن الباي عند غيابه وفي بعض المهمات وهو من يتولى ايصال الدنوش الى الداي؛
- **قائد الدار:** يتولى قيادة مهام الأمن والحراسة على مستوى عاصمة البايليك ويدفع رواتب الجنود؛
- **آغا الدائرة:** قيادة تشكيل الفرسان العرب التابعين لجيش الدولة؛
- **الباش كاتب:** امين الباي وكاتبه الخاص ومسؤول عن مسك الدفاتر المالية للبايليك؛
- **الباش سيار:** نقل الرسائل بين الباي والداي؛
- الباش سايس: مسؤول عن خيول البايليك.
- **القايد:** شحصية ادارية مميزة يتم اختيارها من الأتراك او الكراغلة ويعين على رأس كل وحدة ادارية من الوحدات الادارية التي تشكل البايليك، يُفوض سلطة مهمة تجمع بين المسؤولية المدنية والعسكرية يتكفل بجمع الضرائب والمحافظة على الأمن العام والتواصل مع الباي وموظفيه.

ويستعين القايد على مستوى وحدته الادارية بشيوخ لتمثيل القرى والدواوير، وتتم معاملة السكان بطريقة انتقائية مجحفة احيانا، فهناك مجموعة قبائل المخزن المتحالفة مع الحكام والمعفية من دفع الضرائب، ومجموعة قبائل الدائرة والتي تمول الجيش الحكومي بالمال والرجال والخيول مقابل ضرائب اقل واعفاءات احيانا، ومجموعة قبائل الرعية التي لا تتمتع باي امتيازات، تدفع الضرائب وتعاقب ان هي قصرت في ذلك.

4. **التنظيم الاجتماعي:** ضم سكان الجزائر خلال العهد العثماني الفئات التالية[128]:

127ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي، الجزائر في التاريخ، (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984).21.

128عمار بوحوش، مرجع سابق.78.79.80.

- **الطبقة الأرستقراطية:** تتكون من الأتراك وهي الفئة المسيطرة على الجزائر، لم يتعدى عدد افرادها في غالب الأحيان 20 ألف، تتمتع بنفوذ واسع واحتكار معظم المناصب الحكومية، استقروا بالمدن وتمتعوا بمداخيل معتبرة وحياة رغيدة صنعت نوعا من البعد والتذمر لى السكان الأصليين؛
- **الكراغلة:** هم المنحدرون من زواج مختلط " من اب تركي وام جزائرية" كانت حضوضهم في الحكم والامتيازات قليلة مقارنة بالفئة السابقة، احترفوا المهن الصناعية وخدمة الارض؛
- **الأندلوسيون:** كان تعدادهم يتزايد باطراد على مدى عقود بحسب عمليات الهجرة نحو الجزائر، وكانت احياؤهم تُعرف باسم "الثغريين" وقدموا إضافة اقتصادية كبيرة للبلاد نظرا لمهاراتهم في المهن الصناعية كصناعة الاسلحة والجلود والنسيج والعطور والخزف وممارسة التجارة..؛
- **اليهود:** على الرغم من فلتهم كان لهم حضور لافت على مستويات عدة، كانوا الأقرب الى الحكام، كما بروزوا في الكثير من الأنشطة كالسمسرة والتجارة والمال مما رفع من مكانتهم ونفوذهم؛
- **الأوربيون:** كانوا بأعداد معتبرة في المدن الكبيرة وخاصة العاصمة، وكان معظمهم من التجار ومن الأسرى المحررين والذين استوفوا عقوبتهم.

البحرية الجزائرية والمعاهدات الدولية:

قبل الغزو الفرنسي للجزائر عام 1830، كانت إيالة الجزائر تمثل حالة فريدة في نظام العلاقات الدولية، فبينما تصورها المصادر الأوروبية على أنها "قاعدة قراصنة" تهدد الملاحة في البحر المتوسط، يرى المؤرخ مولود قاسم نايت بلقاسم في كتابه "شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830" أن الأمر مختلف تماماً. فالجزائر كانت دولة ذات شخصية قانونية دولية معترف بها، تمارس حق السيادة على مياهها الإقليمية، وتبرم المعاهدات، وتتبادل السفراء، وتعلن الحرب وتصنع السلام بإرادتها المستقلة[129]

هذه الشخصية الدولية لم تكن وليدة الصدفة، بل كانت نتاج قوة بحرية هائلة جعلت من الجزائر فاعلا لا يستهان به في غرب المتوسط لأكثر من ثلاثة قرون. فكيف نشأت هذه البحرية؟ وما طبيعة "الجهاد البحري" الذي مارسته؟ وكيف تعاملت مع القوى الأوروبية الكبرى ومع الولايات المتحدة الأمريكية الناشئة؟

أولا: النشأة والتطور:

1.السياق التأسيسي: التحدي الإسباني والحاجة إلى الحماية

تعود جذور القوة البحرية الجزائرية إلى بداية القرن السادس عشر، في سياق تاريخي دقيق. فبعد سقوط غرناطة سنة 1492م، وتحويل مسلمي الأندلس قسراً إلى المسيحية، شرعت إسبانيا في توسيع عملياتها العسكرية نحو الساحل المغاربي في خطوة جريئة لمرحلة ما بعد الاسترداد، حيث شرع الاسبان في احتلال بعض الموانئ والمدن الساحلية وتأسس حصون على جزر صغيرة قبالة المدن الجزائرية الرئيسية: مثل جزر "البنيون" قبالة مدينة الجزائر، وجزيرة السيقلي بجاية، وجزيرة كاستيلو بوهران". كانت هذه الحصون قواعد متقدمة لتهديد السواحل الجزائرية وإخضاعها للنفوذ الإسباني[130] في هذا الجو المضطرب، وصل الأخوان عروج وخير الدين بربروس إلى الجزائر،ولم يكونا مجرد "قراصنة" كما تطلق عليهم المصادر

129.مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيتها العالمية قبل 1830، الجزء الأول،(الجزائر: دار البعث للطباعة والنشر، 1985).09.

130.عمار بوحوشن مرجع سابق، 59.

الأوروبية، بل كانا بحارة محنكين وقادة عسكريين أتيا من جزيرة "مديلي" (ليسبوس حالياً) بعد أن قضيا سنوات في الجهاد البحري ضد الإسبان وفرسان القديس يوحنا، تلبية لدعوة سكان مدينة الجزائر الذين سئموا الوجود الإسباني، تمكن عروج من طرد الإسبان من الحصن الذي كانوا يحتلونه في مدخل ميناء مدينة الجزائر عام 1516، وأسس حكماً محلياً قائماً على القوة البحرية[131]

2. الانضمام إلى الدولة العثمانية:

بعد مقتل عروج عام 1518م، تولى خير الدين بربروس القيادة، وحينها أدرك أن الاستمرار في مواجهة الإمبراطورية الإسبانية وحده أمر صعب، فبعد استشارة اعيان مدينة الجزائر قرر التواصل مع السلطان العثماني سليم الأول لعرض نوع من الصفقة علي بموجبها يقر القائد خير الدين بربروس المدعوم بأعيان المدينة بالولاء للسلطان مقابل الحماية.

في سنة 1519م، أرسل خير الدين سفرية إلى إسطنبول تعلن قبول الجزائر بالانضمام الى الامبراطورية العثمانية، مقابل دعم عسكري وبحري، هذه الخطوة كانت حاسمة في تطور البحرية الجزائرية، فبين عامي 1519 و1529م، أرسلت الدولة العثمانية تعزيزات عسكرية وسفناً حربية ومدافع وفرق إنكشارية، وعُيّن بموجب ذلك خير الدين "قبودان باشا" (أمير البحر الأكبر) للأسطول العثماني عام 1533م، وهي الرتبة التي حملها بعد رتبته الاولى "باي لارباي" أي امير الأمراء بعد تعيينه حاكما على الجزائر، مما أتاح له تطوير الأسطول الجزائري بالتزامن مع الأسطول الإمبراطوري[132].

يؤكد المؤرخ مولود قاسم نايت بلقاسم في كتابه "شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830" على نقطة جوهرية مفادها ان تبعية الجزائر/ايالة الجزائر للسلطان العثماني كانت اسمية في الجانب السياسي والعسكري. فالجزائر لم تكن ولاية عثمانية عادية كما كان عليه الحال في بلاد الشام والحجاز ومصر، بل كانت "إيالة" تتمتع بحكم ذاتي واسع[133].

131.عبد العزيز سليمان نوار، مرجع سابق،118.

132. نفس المرجع، 119.

133.مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابقن62.

كان حكام الجزائر (الباشوات ثم الدايات) يُنتخبون محلياً من قبل "ديوان الجند" ولم يعينهم السلطان مباشرة، كما كانت للجزائر سياستها الخارجية المستقلة، وأسطولها الخاص الذي لا يخضع لأوامر إسطنبول، وخزينتها المستقلة التي لا تشارك السلطان في ايراداتها.

3.بناء الأسطول والبنية التحتية البحرية:

لا يمكن لأي قوة بحرية أن تزدهر دون بنية تحتية صلبة،ففي عهد خير الدين ومن تلاه من حكام قبودانات بحر، شهدت مدينة الجزائر تحولاً كبيراً في مرفئها وترسانتها البحرية، تم بناء "الترسانة الجديدة" والتي كانت تضم أحواضاً جافة لإصلاح وبناء السفن،ومستودعات للأسلحة والذخيرة والمؤن، وورشاً لصناعة الحبال والأشرعة والمراسي، ومساكن للبحارة وعائلاتهم.

يقدر المؤرخون أن الترسانة الجزائرية كانت قادرة على تجهيز 30 إلى 40 سفينة حربية في وقت واحد، وهو رقم هائل بمعايير حساب القوة البحرية آنذاك، وكانت السفن الجزائرية تصنع من أخشاب الأرز القادمة من جبال الأطلس البليدي وجرجرة والقل وجيجل وخشب البلوط من الولايات الغربية، مما جعل وحدات الأسطول متينة ومقاومة وسريعة في صُنفت السفن إلى أنواع متعددة منها[134]:

* الغالير (Galère)ذات حجم كبير مزودة بعدد من المدافع يتراوح بين40-20 مدفعا وتخصص لمهام الحروب الكبرى والاشتباكات المباشرة؛
* الشبك (Chébec) ذات حجم متوسط مزودة بعدد من المدافع يتراوح بين 24-16 وتخصص لمهام المناورة والسرعة والهجوم على السفن التجارية؛
* البولاقر (Polacre) ذات حجم صغير مزودة بعدد من المدافع يتراوح بين 16-10 وتخصص لمهام الاستطلاع ونقل البضائع والجنود؛
* التارتان (Tartane) ذات حجم صغير جداً مزودة بعدد من المدافع يتراوح بين 8-4 وتخصص لمهام الاتصالات السريعة والتهريب المضاد.

134.نفس المرجع،71.

4. العصر الذهبي للأسطول:

بلغت القوة البحرية الجزائرية ذروتها في القرن السابع عشر، حيث تشير التقديرات إلى أن الأسطول الجزائري كان يضم في أوج قوته ترسانة مركزية في الجزائر العاصمة، وترسانات فرعية في كل من عنابة وبجاية ووهران ومستغانم، وكان يضم حوالي 80 إلى 100 سفينة حربية من مختلف الأحجام، ومن عشرة آلاف إلى خمسة عشرة ألف بحار محترف وحوالي اثنتاعشرة الف جندي بحري "الطائفة البحرية"[135].

حظيت"طائفة الجهاد" (البحرية والجند) في المجتمع الجزائري آنذاك بامتيازات خاصة: رواتب شهرية منتظمة، حصص من الغنائم، ومكانة اجتماعية رفيعة. هذا بالاضافة الى"طائفة الرعايا"(سكان المدن من التجار والحرفيين والفلاحين)،هكذا كان الهيكل الاجتماعي الذي جعل من الدولة الجزائرية دولة عسكرية بحرية بامتياز، وكان الأسطول فيها القلب النابض للاقتصاد والسياسة.

ثانيا: الجهاد في البحر وثلاثية الأيديولوجيا والاقتصاد والسيادة

1. مفهوم "الجهاد البحري" عند الجزائريين:

أحد أكثر المواضيع إشكالية في كتابة تاريخ البحرية الجزائرية هو مفهوم "الجهاد البحري"، ففي المصادر الأوروبية، يُصوَّر النشاط البحري الجزائري على أنه "قرصنة"أو "تهديد إرهابي" قبل عصره، لكن عدد من المؤرخين الجزائريين المعاصرين يقدمون قراءة مختلفة، على اعتبار ان الجهاد البحري لم يكن مجرد نهب وسلب عشوائي، بل كان مؤسسة قانونية وعسكرية منظمة، لها مبرراتها الدينية والسياسية والاقتصادية[136]

* **البعد الديني والأخلاقي:** كانت الذريعة الدينية للهجوم على السفن المسيحية هي "الرد على العدوان الإسباني". فسقوط الأندلس وتهجير المسلمين قسراً لم يكن حدثاً عابراً، بل كان

---

135. مبارك بن محمد الميلي، ج.04، مرجع سابق،125.

136.زيتوني حمزة اسحاق، تطور مهام البحرية الجزائرية من الجهاد البحري الى القرصنة البحرية، المجلة التاريخية الجزائرية،129.

صدمة حضارية عميقة. في هذا السياق، كان "الجهاد البحري" يُعتبر نصرة للمسلمين للمستضعفين ودفاعاً شرعياً عن الأراضي الإسلامية وعن كرامة المسلمين؛

* **البعد السياسي:** هنا كان الأمر يتعلق بالسيادة على المياه الإقليمية، اذ لم يكن مجرد عمل عدائي عشوائي ضد الدول الأوربية وسفنهم، بل ان الجزائر كدولة ذات سيادة كانت تمارس حقها في حماية مياهها الإقليمية، حيث أُعتبرت أي سفينة تدخل المياه الإقليمية الجزائرية دون إذن أو دون دفع رسوم كانت تعتبر خارقا للقانون واعتداء على السيادة الوطنية؛

* **البعد الاقتصادي:** يقوم هذا البعد على اقتصاد الريع البحري، حيث كانت الغنائم الحربية تشكل المصدر الرئيسي لدخل الدولة الجزائرية،وكانت الغنائم تشمل السفن والبضائع والسلاح والعبيد، و تُقسم وفق نظام صارم على النحو التالي؛ خمس الغنيمة لخزينة الدولة، والباقي يوزع على القبطان والبحارة والجنود حسب الرتب والمشاركة.[137]

2. نظام "الأتاوات البحرية":

لم تكن العلاقة بين الجزائر والدول الأوروبية قائمة على الحرب الدائمة فقط، بل كان هناك نظام معقد من السلام المدفوع، وكانت الدول الأوروبية، وخاصة تلك التي لها مصالح تجارية في البحر المتوسط، تبرم معاهدات سلام مع الجزائر تتعهد بموجبها بدفع مبالغ سنوية (أتاوات) وهدايا ثمينة لداي الجزائر، مقابل حماية سفنها التجارية وضمان الأمن والآمان لتجارتها وبحارتها، أطلق بعض المؤرخين على هذا النظام اسم "القسطنطينية البحرية" تشبيهاً للمكانة التي احتلتها الجزائر في غرب المتوسط بالمكانة التي احتلتها القسطنطينية (إسطنبول) في شرقه، وكان نظام الدفع على النحو التالي[138]:

– الجزية السنوية: وهي مبلغ ثابت تدفعه الدولة الأوربية كل عام 30,000–100,000 من العملات الذهبية المختلفة بحسب الاتفاقي والمعاهدة مع الدولة التي تدفعها؛

– هدايا التتويج عند تعيين داي جديد: ترسل الدول هدايا باهظة وسفن محملة بالسلع الفاخرة والذهب والمجوهرات والسلاح؛

137.نفس المرجع.

138.ناصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، دراسات وابحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني (.... : دار البصائر، 2008).132.130.

– فدية الأسرى: قيم مالية وذهبية تدفعها الدول " من 500 الى 1500 دولار عن الأسير الواحد"مقابل تحرير اسراهم الذين وقعوا في قبضة البحرية الجزائرية؛
– رسوم الموانئ: رسوم مالية وذهبية يدفعها اصحاب السفن التي ترسوا في الموانئ الجزائرية وتتراوح بين 2 و5% من قيمة البضائع والسلع المحملة على ظهر السفينة.

ثالثا: علاقات الجزائر بالدول الأوربية

1.النظام التعاقدي: السلام عبر المعاهدات

أكثر ما يميز الشخصية الدولية للجزائر في العهد العثماني هو اعتمادها على المعاهدات كأساس للعلاقات مع الدول الأوروبية، لكون البحر المتوسط ما يزال يشكل مركز العالم القديم الى جانب شمال الأطلسي، وان معظم التفاعلات الدولية تتم فيه، ولكون الجزائر كانت احدى القوى المتوسطية الفاعلة فيه بقوة، كان من الضروري ان تكون لمعظم دول هذا الفضاء علاقات معها، والتي جمعت بين السلام والصراع؛ فكانت كل دولة من الدول الأوروبية تقريباً تملك معاهدة سلام خاصة مع الجزائر، تُحدد بموجبها حقوق وواجبات كل طرف.

ومن ابرز هذه المعاهدات مايلي:

– **معاهدة الجزائر مع فرنسا1628**: احد اهم المعاهدات الكثيرة المبرمة بين الجزائر وفرنسا، لكون هذه الاخيرة، كانت من أولى الدول الأوربية التي أبرمت معاهدة نظامية مع الجزائر، ونصت المعاهدة على حرية الملاحة الفرنسية في المتوسط وحق السفن الفرنسية في الرسو في الموانئ الجزائرية للتزود بالمؤن وإجراء الإصلاحات، مقابل دفع مبلغ 200,000 فرنك سنوياً[139].

وبسبب التماطل او التجاهل، كانت فرنسا غالباً ما تتأخر في الدفع، مما يؤدي إلى توترات وصدامات متكررة قد تدفع إلى اندلاع معارك بحرية والرفع من الرسوم المتفق عليه بعد اعادة مراجعة الاتفاقية او المعاهدة؛

139.مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق،190.189

– معاهدة الجزائر مع إنجلترا 1662[140]: هي واحدة من الاتفاقيات والمعاهدات المبرمة بين الجزائر وانجلترا، وكانت هذه معاهدة للسلم والتجارة بعد عودة الملك تشارلز الثاني إلى العرش الإنجليزي، سعى إلى تحسين العلاقات مع الجزائر، ونصت المعاهدة على الإفراج عن جميع الأسرى الإنجليز مقابل 30,000 جنيه إسترليني جزية سنوية وحرية الملاحة والتجارة في المتوسط والتمثيل الدبلوماسي والتزام انجلترا بتقديم كل التسهيلات للجزائر؛

– **معاهدة الجزائر مع اسبانيا:** كانت ميزة الصراع والحرب هي الغالبة على العلاقات الجزائرية الاسبانية، والتي تخللتها بعض المعاهدت وكان من اهمها: معاهدة السلام الكبرى 1785م التي جاءت بعد فشل الحملات الاسبانية المتكررة على مدينة الجزائر، وعجز بحريتها على القضاء على الأسطول الجزائري، ونصت على: وقف العمليات العسكرية بين البلدين واطلاق سراح الاسرى الاسبان مقابل فدية مالية ضخمة، وعدم استهداف السفن الاسبانية، هذا بالاضافة الى معاهدة 1791م والتي بموجبها تم جلاء القوات الاسبانية من وهران وميناء المرسى الكبير واستلام الجزائر للموقعين في فيفري 1792م[141].

.2 الحروب مع القوى الأوروبية الكبرى: مثلما تم الاشارة اليه آنفا تأرجحت العلاقات الجزائرية الاوربية بين السلم والحرب، اذ لم تكن المعاهدات دائماً كافية لتجنب الحرب، غالبا ما كانت التوترات تتصاعد لأسباب متعددة: كتأخر الدفع، اوانتهاك المعاهدة، أوالتضامن مع قوى اوربية أخرى عدوة للجزائر، ومن ابرز محطات الحرب هذه:

140.نفس المرجع. 189.

141.نفس المرجع، 175.

- **الحرب مع اسبانيا:** كانت مبكرة جدا ولتواصلها لزمن طويل جدا وصفها المؤرخ الجزائري احمد توفيق المدني بحرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر واسبانيا، فحتى في حالات اللاحرب هي في حقيقة الأمر نوع من الاستراحة وتجديد القوى للمعاودة وهكذا. تاريخيا وبعد سقوط غرناطة سنة 1492م كانت اسبانيا المبادر بالتحرش بالمدن الساحلية الجزائرية بالمرسى الكبير ووهران وبجاية والعاصمة، وحملة شاركان في شهر اكتوبر 1541م والتي مني فيها الاسبان بهزيمة تاريخية[142]، هذا بالاضافة الى حروب الاستنزاف خلال القرنين السابع عشر والثامن عشر والتي انتهت في معظمها بهزيمة الاسبان وتشديد العقوبات والرفع من الأتاوات والضرائب والرسوم[143]

- **الحرب مع فرنسا 1681الى1688:** تأتي فرنسا بعد اسبانيا من عدد الصدامات بين الدولتين ومن حيث حجم الصراع، ففي عهد لويس الرابع عشر، رفضت فرنسا دفع الجزية، وردت الجزائر بالهجوم على السفن الفرنسية في المتوسط، انتفض الملك لويس الرابع عشر باستهداف الجزائر من خلال إرسال أربع حملات بحرية كبرى لـ"قصف الجزائر" أعوام 1682 و1683 و1684 و1688، فشلت جميع هذه الحملات في تحقيق أهدافها بسبب قوة الصد والتحصينات العسكرية من حول مدينة الجزائر[144].

- **الحرب مع إنجلترا 1682-1670:** لم يكن الشأن مع انجلترا يختلف كثيرا عما كان عليه حال الصراع والحرب مع فرنسا واسبانيا، وبحكم ان هؤلاء القادة الأوربيين قد عودوا قلعة الجهاد على نقض العهود، اقدم الملك تشارلز الثاني على رفض دفع الجزية، فقامت البحرية الجزائرية بهجمات واسعة على السفن الإنجليزية في البحر المتوسط والمحيط الأطلسي، وردت إنجلترا بارسال أسطول بقيادة السير جون ناربرو (Sir John Narborough) عام 1675م، لكنه فشل في إخضاع الجزائر، استمرت الحرب حتى عام 1682 عندما اضطر تشارلز الثاني

---

142 حملة شال الخامس ملك اسبانيا والامبراطورية الرومانية المقدسة على الجزائر في شهر اكتوبر 1541م يهدف من ورائها وهو يحمل شرف اوربا والمسيحية جمعاء للقضاء على البحرية الجزائرية والاستئثار بهذا الشرف لتخليص اوربا من هذا الوباء البحري"البحرية الجزائرية في الأدبيات الأوربية"، دمر فيها الأسطول الاسباني/ الأوربي قتل الآف واسر اضعافهم ورمى شاركان تاج ملكه في البحر وحملت مدينة الجزائر لقب دار الجهاد وقاهرة العمالقة.

143.مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق، 229.

144.نفس المرجعن 194.193.

إلى إعلان الهزيمة والجنوح للمفاوضات وتوقيع معاهدة جديدة يدفع بموجبها 25,000 جنيه سنوياً بالإضافة إلى امتيازات أخرى للداي والبحرية الجزائرية[145]

3. عوامل التفوق البحري الجزائري على اوربا:

استطاعت الجزائر أن تصمد أمام أقوى الأساطيل الأوروبية منفردة ومجتمعة لأكثر من قرنين للعوامل التالية:

– الموقع الجغرافي الحصين: كون مدينة الجزائر كانت طبيعياً قلعة منيعة، تقع على سفح جبل، ومرتفعة عن البحر وتطل على خليج واسع وميناؤها محصن ومحاط بأسوار عالية ومدافع قوية؛

– خبرة البحارة والجنود: الخبرة البحرية الواسعة للبحارة الجزائريين الذين كانوا من أكثر البحارة خبرة في العالم في ذلك الوقت، فهم من قضى سنوات العمر كله في البحر، وعرفوا خفايا المتوسط ورياحه وتياراته؛

– تماسك النظام السياسي والعسكري: كانت الجزائر تحت حكم نظام عسكري مركزي (الداي وديوان الجند) ولم تكن هناك انقسامات داخلية كبيرة تضعف القدرة على المقاومة.

رابعا: العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية:

1 .الحماية البريطانية: تشكل قصة العلاقات الجزائرية–الأمريكية واحدة من أكثر الفصول إثارة في التاريخ الدبلوماسي المبكر للولايات المتحدة، قبل حرب الاستقلال الأمريكية (1775–1783)، كانت السفن التجارية الأمريكية محمية بموجب معاهدة بريطانيا مع الجزائر، لكن عندما أعلنت المستعمرات الثلاثة عشر استقلالها وقطعت علاقاتها مع بريطانيا، انتهت هذه الحماية تلقائياً، واصبحت السفن الأمريكية بالنسبة للجزائر سفناً "دون حماية، ففي عام 1785م، قام رايس البحر الجزائري محمد بوعلي بأسر سفينتين أمريكيتين هما"بيتسي" (Betsey)

145.نفس المرجع، 171.

و"ماريا" (Maria)، واحتجز 21 بحاراً أمريكياً، وشكل ذلك حادثة صادمة للولايات المتحدة الناشئة وتحولا استراتيجيا لافتا بعد فقدان الحماية البريطانية[146].

وكان ذلك إعلانا لبداية الصدام والصراع مع الولايات المتحدة الأمريكية، التي حاولت في البداية إتباع مسار دبلوماسي لكنها فشلت لغياب قوة بحرية تحمي سفنها وتدعم مفاوضاتها، ومن جهة ثانية الشروط التعجيزية المالية التي طلبتها الجزائر للوفد المفاوض الذي ارسله جون ادامز وتوماس جيفرسون[147]، وهكذا ظل الأسرى في سجون الجزائر واستمر حجز السفن والأسرى الى غاية معاهدة السلام سنة 1795م، حين اصدر الكنغرس قانون البحرية وامر بصناعة 06 فرقاطات، وبالتالي كانت الجزائر بضغطها البحري سببا مباشرا فى تأسيس الولايات المتحدة الأمريكية لبحريتها.

2.معاهدة السلام الجزائرية الأمريكية 5 سبتمبر 1795م:

اضطر الرئيس جورج واشنطن للرضوخ للشروط المالية التي طلبتها الجزائر نظير اطلاق الأسرى، والتي قدرت ب642500 دولار وهو مبلغ فلكي في ذلك الوقت، وضريبة سنوية تقدر ب 25000دولار وحجم معين من المعدات البحرية والذخائر والسلع وسفينة محملة بالذهب والمجوهرات والأسلحة الفاخرة كهدية للداي، مقابل ضمان الأمن وعدم التعرض لسفنها[148]

3. الحرب الجزائرية-الأمريكية1815: في عام 1815، أعلن الرئيس جيمس ماديسون الحرب على الجزائر، مجهزا حملة بحرية من 10 سفن بقيادة الأدميرال ستيفن ديكاتور (Stephen Decatur) مستهدفا البحرية الجزائرية في 17 جوان 1815، باغت الأسطول الأمريكي الفرقاطة الجزائرية "مشهودة" (بقيادة الريس حميدو) على حين غفلة قبالة سواحل ألميرية الاسبانية، ودارت معركة شرسة، انتهت باستشهاد الريس حميدو وأسر السفينة الجزائرية، ثم وصل ديكاتور إلى الجزائر وتفاوض من مركز قوة هذه المرة، ووقعت معاهدة

146.مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق، 214.

147.نفس المرجع، 219.

148نفس المرجع، 229.230

جديدة نصت على الإفراج عن الأسرى دون فدية، وإلغاء الجزية السنوية، وحرية الملاحة الكاملة للسفن الأمريكية[149]

3. شخصية الجزائر الدولية :

– يثبت مولود قاسم نايت بلقاسم في كتابه "شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830" بالوثائق والأدلة التاريخية، أن الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي كانت دولة ذات شخصية قانونية دولية معترف بها؛

– كانت الجزائر تمارس سيادتها على أراضيها ومياهها الإقليمية حتى 30 ميلا بحريا، وكان للجزائر حدودها المعترف بها دولياً؛

– حق إبرام المعاهدات الدولية: كانت الجزائر بكل سيادة تبرم معاهدات السلام والتجارة والتحالف مع أي دولة، باسمها وبصفتها القانونية المستقلة؛

– تبادل التمثيل الدبلوماسي: كان للجزائر قناصل وسفراء في عدد من العواصم الأوروبية، بالمقابل، كان للدول الأوروبية قناصل في الجزائر العاصمة؛

– العملة والاقتصاد المستقل: كان للجزائر عملتها الخاصة (الريال الجزائري)، وكانت تسك العملة باسم الداي وليس باسم السلطان العثماني، ولها خزينة مستقلة وتتصرف في مواردها المالية بكل سيادة؛

– الجيش والأسطول: كان للجزائر جيشها الخاص المشكّل من بعض وحدات الانكشارية والفرسان وسلاح المدفعية والمتطوعين وأسطولها البحري الخاص، وكانت تعلن الحرب وتصنع السلام بإرادتها وحدها؛

– ممارسة حقها في الجهاد وحماية سيادتها وتجارتها في البحر المتوسط وضمان الأمن والسلم الدوليين مقابل ضرائب واتاوات، وهو عمل مشروع وبعيد كل البعد على ما تصفه الدول الأوربية والولايات المتحدة الأمريكية على انه "قرصنة"، وهو وصف غربي يبرر للأوربيين مهاجمة الجزائر بهدف الإخضاع والهيمنة، وعليه ماذا يسمى الغزو الاسباني والأوربي لقارة امريكا والأنجليزي والهولندي في الهند وجنوب آسيا؟

149.نفس المرجع، 236.

4.**أسباب اختلال موازين القوة بين الجزائر واوربا:** يمكن إيجاز ذلك في:

– العامل التكنولوجي: شهد القرن التاسع عشر ثورة في التكنولوجيا البحرية والعسكرية بظهور المحرك البخاري والمدافع الحديثة والذخيرة المتطورة، وبالمقابل بقيت الجزائر تعيش على المقومات الحضارية للعصر الوسيط، ومن ثمة التأخر وعدم القدرة على مواكبة هذه الثورة؛

– مؤتمر فيينا (1815): الذي جاء ليؤسس للسلام بين الدول الأوربية خاصة الكبرى منها، والتعاقد لتحالف قوي ضد الجزائر والدولة العثمانية، لم يعد هناك "مجال للجزائر يمكن من خلاله شق الصف الأوربي، مما ادخل الجزائر في عزلة وحصار معلن[150]؛

– تراجع اقتصاد الريع البحري: مع تطور شركات التأمين البحري، أصبحت السفن مؤمنة ضد الخسائر وأضحت اكثر قوة وتسليحا، وشرعت أوروبا في تحويل طرق التجارة البحرية الدولية بعيداً عن المتوسط؛

– تراجع الكفاءة القيادية: مع مرور الزمن، أصبح الحكام من طبقة الإنكشارية الذين لم تكن لهم خبرة بحرية كافية تجاري التطور الأوربي، وكذا انشغالهم بالشؤون الداخلية.

150.مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق.260.

المحور الرابع الاحتلال الفرنسي للجزائر:

أولا: السياق الداخلي والسياق الدولي للاحتلال الفرنسي للجزائر:

كانت الجزائر في العقود الأولى من القرن التاسع عشر تشكل إيالة عثمانية تتمتع باستقلال فعلي عن الآستانة، وتحكمها نخبة عسكرية من أصول مختلفة. هذا التركيب الفريد جعل منها كيانًا سياسيًا متميزًا، لكنه حمل في طياته نقاط ضعف بنيوية ستظهر جلية عند مواجهة التحدي الفرنسي.

1. السياق الداخلي:

عندما تولى الداي حسين الحكم عام 1818، ورث إيالة تعاني من أزمات متراكمة كانت نتاج اوضاع داخلية تتعلق بالشأن العام، وأخرى كانت نتاج مخرجات لتطورات استراتيجية وجيوسياسية ولمؤتمرات في الدائرة الأوربية والمتوسطية ومنها:

- تدمير جزء كبير من الأسطول الجزائري على يد الأسطولين الأنجليزي والهولندي بقيادة الأدميرالين "اكسموث وجون كابلن" سنة 1816م تنفيذا لمخرجات مؤتمر فيينا 1815م حيث قصفت العاصمة بأكثر من 500 الف قذيفة مدفعية؛
- تراجع الإيرادات بسبب انخفاض عائدات الجباية البحرية بعد توقف نشاط الأسطول؛
- تزايد النفقات التي كانت ضرورية جدا لإعادة بناء الأسطول وتعزيز التحصينات الدفاعية للميناء والعاصمة؛
- عدم وفاء فرنسا بالتزاماتها تجاه الديون المتراكمة والمستحقة للدولة الجزائرية والتي تعود الى فترة الحروب النابليونية؛

هذه الأوضاع وضعت الداي حسين في موقف صعب، وجعلته يضغط على القنصل الفرنسي لتسوية الملف المالي العالق بين البلدين والذي تطورت تبعاته الى غزو الجزائر سنة 1830م[151]

151مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق، الجزء الرابع،265.2064

2. **الظروف الخارجية:** ساهمت جملة من الظروف والأحداث الخارجية بطريقة مباشرة وغير مباشرة في تهيئة الظروف العامة لفرنسا لغزو الجزائر ومنها[152]:

- احتدام الأزمة السياسية في فرنسا بعد نهاية الحروب النابوليونية وانهزام نابليون وعودة الملكية ممثلة في شخص الملك "شارل العاشر"؛
- محاولة الملك شارل العاشر استعادة ما يمكن من مجد فرنسا كقوة قارية كبيرة خاصة وان الحالة الاقتصادية والاجتماعية كانت سيئة للغاية، ويضاف اليها العقوبات الأوربية المتنوعة على فرنسا بعد هزيمة نابليون؛
- النزعة التوسعية الاستعمارية ونهم الموارد الطبيعية التي تملكت الأنظمة السياسية في اوربا، مما رفع سقف التنافس السري والعلني بين القوى الأوربية الرئيسة على الرغم من مخرجات مؤتمري فيينا واكس لاشبيل في هذا الشأن؛
- اختلال توازن القوى بين العالمين الاسلامي والأوربي، افقد الجزائر والدولة العثمانية الريادة البحرية.

ثانيا: الجيش الجزائري عشية الاحتلال

يتألف الجيش الجزائري من ثلاثة مكونات رئيسية:

القوات النظامية : وتتالف أساسا من الانكشارية، مقرها الرئيس كان بالعاصمة، لم يكن تعدادها عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر سوى حوالي 12000 جندي، واكثر من ذلك كانت تعاني من قلة الانضباط ومتدخلة في الكثير من الصراعات والمفاسد، وعلى العكس من ذلك كانت القوات البحرية العمود الفقري للقوة الجزائرية قد بدات تعاني من القلة وضعف التسليح والحصار بسبب تضررها الكبير بعد الحملة الانجليزية والهولندية المشتركة سنة 1816م، يضاف الى ذلك حوالي 5000 مقاتل نظامي في بايليك الغرب و8000 مقاتل في بايليك الشرق وقليل من المتطوعين في وسط البلاد، تحوز هذه القوات ترسانة اسلحة معتبرة لكنها قديمة مقارنة بما جادت به ثورة التقنية من تطور على فرنسا واوربا.

152نفس المرجع،220.221.222.

كان القائد العام للقوات النظامية الجزائرية آنذاك الآغا ابراهيم صهر الداي حسين، الذي تولى مهمة الدفاع عن العاصمة عند الإنزال الفرنسي، أما أحمد باي في الشرق فكان يتمتع باستقلالية كبيرة، وكان يمتلك جيشًا منظمًا، وكان متواجدا بالعاصمة وقت نزول الحملة الفرنسية بسيدي فرج، وقدم خطة استراتيجية لتحييد الحملة الفرنسية والقضاء عليها لكن لم يأخذ بها.

ثالثا: العلاقات الجزائرية الفرنسية (1798-1827)

لم تكن العلاقات بين الجزائر وفرنسا قبل 1830 علاقات عدائية بالضرورة، فقد مرت بمراحل متقلبة، من التعاون خلال الحروب النابليونية إلى التوتر المتصاعد في عهد الداي حسين، لفهم أسباب الاحتلال، لا بد من تتبع تطور هذه العلاقات في العقود الثلاثة التي سبقت الغزو.

1. العلاقات الجزائرية-الفرنسية خلال الحروب النابليونية

عندما وصل نابليون بونابرت إلى الحكم في فرنسا سنة 1799م، كانت الجزائر تشكل عامل قلق بالنسبة له، لكنه أدرك أنها يمكن أن تكون حليفًا في صراعه مع بريطانيا، لا من حيث اشراكها مباشرة في القتال، وانما التقرب منها وتحييدها حتى لا تكون سندا لأحد خصومه في اوربا، وتأمين خطوط الامداد في البحر المتوسط واستيراد الحبوب لتمويل جيشه، وتكفل بهذا الأمر تاجران يهوديا ن هما بكري وبوشناق حيث زودا الحكومة الفرنسية بكميات ضخمة من القمح والشعير وفق عقد مبرم بين سنتي 1803 و1805م وبلغت قيمة الصفقة 7 ملايين فرنك ذهبي، وشكلت هذه العقود أساس المشكلة المالية التي ستعكر صفو العلاقات لاحقًا.[153]

153عبد الرحمان بن محمد الجيلاني، تاريخ الجزائر العام، الجزء الثالث،(الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية،1994).276

2. نهاية التحالف

بعد سقوط نابليون وعودة الملكية (1815-1814)، تغيرت السياسة الفرنسية تجاه الجزائر. رفضت الحكومات المتعاقبة تسديد الديون، مدعية أن العقود كانت بين تجار خاصين وليست التزامًا حكوميًا.

وبعد مؤتمر فيينا الذي انعقد لمعاقبة فرنسا واحلال السلام بين القوى الأوربية الرئيسة، تكفلت انجلترا وهولندا نيابة عن الأوربيين بتدمير الاسطول الجزائري والبحرية الجزائرية، فجاءت الحملة الشهيرة سنة 1816م والمذكورة آنفا، هذا القصف كان نقطة تحول استراتيجية أفقدت الجزائر أهم أوراق قوتها البحرية، وأصبحت أكثر عرضة للضغوط الأوروبية، ورغم أن فرنسا لم تشارك في القصف، إلا أنها استفادت من ضعف الجزائر اللاحق، كما أن الحادثة زادت من شعور الداي حسين (الذي تولى الحكم بعد عامين) بالحاجة إلى تعزيز التحصينات والجيش[154].

3. الداي حسين والصراع مع القنصلية الفرنسية:

تولى الداي حسين رئاسة الدولة بين1818و1830 في ظروف صعبة، داخل ضعيف بتناقضاته وصراعاته، حيث ورث إيالة منهكة اقتصاديا بعد قصف 1816 وجد خزينة شبه فارغة، وسياق خارجي يتطور بسرعة ويزداد تكالبا على الجزائر، وكان عليه مواجهة مطالب القوى الأوروبية المتزايدة التي ما انفكت تتحالف وتتآمر للقضاء على الجزائر والبحرية الجزائرية.

يُشار إلى تميز الداي حسين بالشجاعة والصراحة وهي ميزة/مقاربة جزائرية دأب حكام الجزائر تمثلها في ادارة علاقاتهم بالدول الأوربية، لكن ايضا يُشار الى انه كان يفتقر إلى الكثير من المهارات الدبلوماسية اللازمة للتعامل مع القوى الأوروبية الكبرى في تلك المرحلة الدقيقة،

154نفس المرجع،284.285.286.

والتي كانت تستدعي الهدوء ورباطة الجأش لأن عوامل القوة وميزانها لم يعد في صالح الجزائر[155].

وفي المقابل كان **بيير دوفال** قنصل فرنسا في الجزائر منذ 1815م شخصية متغطرسة واستفزازية، وبدا عليه عدم الاحترام للتقاليد المحلية، مما زاد من حدة التوتر، ولم تكن العلاقة بين الداي حسين والقنصل على ما يرام بسبب مماطلة فرنسا في تسديد الديون، وسلوك دوفال الاستفزازي، والدعم الفرنسي لتوسعات بعض القوى الأوروبية في المنطقة.

بعد ذلك اخذت العلاقات الجزائرية الفرنسية منحى خطيرا، خاصة وان الرسائل والمطالب الجزائرية لفرنسا عبر قنصلها لم تتم الاستجابة لها، رسميا قدمت مطالبتها بتسديد الديون سنة 1820م، ثم رفعت الرسوم على السفن الفرنسية واعادت مطالبتها بتسديد الديون سنة 1822م، ثم الاعادة سنتي 1824م و1826م بنبرة عادة وغاضبة، الى ان جاءت حادثة المروحة في شهر افريل من سنة 1827م[156]

رابعا: أزمة المروحة والحصار البحري (1827-1830)

في نهاية شهر أبريل 1827م وفي يوم عيد الفطر وكما جرت عله العادة، ذهب القنصل دوفال وكما هو الشأن لكل القناصل المعتمدين في الجزائر لتقديم التهاني للداي بقصر الجنينة، وحينها جدد الداي المطالب بشأن الديون والاستفسار عن عدم الرد الفرنسي، ولكون المكيدة مدبرة، كان رد القنصل استفزازيا جدا بقوله "**ان ملك فرنسا لا يتنازل لمراسلة داي الجزائر**".

وقعت حادثة المروحة، "عندما نهض الداي وهو في حالة سخط وغضب لمست مروحته القنصل" بدت في ظاهرها ثانوية، لكنها سرعان ما تحولت إلى أزمة دبلوماسية كبرى، بعدما وجهت فرنسا الى الجزائر مطالب غريبة للاعتذار في حدود زمنية معينة والا ستبدأ الحرب ضد الجزائر، وهو الأمر الذي رُفض جملة وتفصيلا من طرف الداي حسين، بعدها لجأت فرنسا إلى حصار بحري من 1827م الى 1830م، وأخيرًا إلى قرار بالغزو العسكري،

155charles andre julien, histoire de l'algerie contemporaine. tome 01(france :presses universitaire de france.1964).22.23

156.مبارك بن محمد الميلي، مرجع سابق. ج4. 269.270.

وما حادثة المروحة، كما عرفت، الا القشة التي قصمت ظهر البعير في علاقة متوترة أصلاً بين الجزائر وفرنسا.[157]

خامسا: مراحل الحصار

المرحلة الأولى (1827-1828): بعد حادثة المروحة شرعت فرنسا في حصارها على الجزائر والذي كانت نتائجه كالآتي[158]:

- فرض حصار على موانئ الجزائر العاصمة ووهران وعنابة؛
- فشل فرنسا في إخضاع القلاع الساحلية الجزائرية التي ظلت تقاوم باستمرار؛
- استمرار السفن التجارية البريطانية والإسبانية والإيطالية في الإبحار إلى الجزائر، وأُعتبر ذلك دعما للجزائر ليس حبا فيها وانما بغضا في فرنسا نظرا لحدة المنافسة الاستعمارية بعد تدهور قوة الدول الاسلامية؛
- تكبد الأسطول الفرنسي خسائر مالية باهظة، لفقدان علاقاتها التجارية مع الجزائر وعدم تعافيها من اثر عقوبات مؤتمر فيينا

المرحلة الثانية (1828-1829): تشديد الحصار

- قصف جزئي لبعض المواقع الساحلية (وهران، عنابة) كان الهدف التشويش على القيادة العليا في البلاد واستنزاف القوة البحرية الجزائرية؛
- محاولات لمنع السفن الأجنبية من الوصول إلى الموانئ الجزائرية؛
- فشل الحصار في تحقيق هدفه الرئيسي في إجبار الداي على الاعتذار.

المرحلة الثالثة (1829-1830). بعد عقم مخطط الحصار لتحقيق المآرب الفرنسية تم تغيير الإستراتيجية من خلال التحوّل الى الاعداد لعملية غزو مباشر لـ[159]:

157نفس المرجع.271.272.

158.مولود قاسم نايت بلقاسم، مرجع سابق.199.

159.نفس المرجع، 232.

- إدراك القيادة الفرنسية أن الحصار غير مجدٍ؛
- التحول الى خيار الغزو العسكري بعد مناقشات في مجلس الوزراء الفرنسي؛
- اتخذ القرار النهائي بشن الحملة في 31 يناير 1830.

الأهداف الخفية لفرنسا من الحصار: يمكن تلخيص أسباب فشل الحصار فيما يلي:[160]

- الانقسام والمناقشات الحادة على مستوى مجلس وزراء فرنسا بين مؤيد ومعرض لعملية الغزو والاحتلال؛
- التريث في عملية الغزو للتعرف على مواقف الدول الأوربية من انفراد فرنسا باحتلال الجزائر، ومن ثمة الاخلال ببعض بنود اتفاقية فيينا 1815م؛
- الاطالة في الحصار لاستنزاف القوة العسكرية والاقتصادية للجزائريين؛
- انتظار نتيجة المشروع المعروض على محمد على باشا حاكم مصر ليزحف برا ويحتل الجزائر لصالح فرنسا كعربون صداقة لما قدمته له فرنسا من مساعدات تقنية لنهضة مصر.

سادسا: الأسباب الحقيقية للاحتلال الفرنسي للجزائر

كانت حادثة المروحة مجرد ذريعة ظاهرية لأزمة أعمق بكثير، لم تحتج فرنسا إلى مروحة لتقرر غزو الجزائر لأن فرنسا وقناصلتها قد أُهينوا قبل ذلك واكثر من مرة ولم يتعدى رد فعلها بعض التنديد، بل كانت هناك دوافع استراتيجية واقتصادية وسياسية عميقة جعلت من الجزائر هدفًا استعماريًا ذا أولوية[161].

1. البعد الاستراتيجي للجزائر: تمتلك الجزائر موقعًا جغرافيًا استثنائيًا:

- تشرف على غرب البحر المتوسط، وهو ممر حيوي للتجارة البحرية بين أوروبا والشرق؛
- قريبة من فرنسا أقل من 800 كيلومتر عن السواحل الفرنسية؛

160نفس المرجع،285.286.

161.عمار بوحوش، مرجع سابق،90.91.

- تمتلك موانئ طبيعية عميقة (الجزائر، وهران، عنابة، بجاية؛
- التحكم في أحد أهم الممرات البحرية في العالم؛
- حماية السواحل الفرنسية الجنوبية؛
- تهديد خطوط الإمداد البريطانية نحو الهند وجنوب شرق آسيا.
- موازنة النفوذ البريطاني في المتوسط؛
- طموح فرنسا لتصبح القوة المهيمنة على الضفة الجنوبية للمتوسط؛
- التعويض باحتلال الجزائر عما خسرته فرنسا من مستعمرات في قارة امريكا في حربها ضد الانجليز.

2. البعد الاقتصادي: لم تكن المغامرة الفرنسية ورهانها على الجزائر مجرد منافسة استعمارية بل لتنفيذ مخطط استيطاني شبيه بالمخطط الأوربي في قارة امريكا، وما كان يشد هو غنى الجزائر بـ:

- الأراضي الزراعية الكثيرة والخصبة؛
- تنوع المحاصيل الفلاحية لمختلف الشعب الزراعية كالحبوب والخضر والفواكه؛
- ثروات طبيعية عالية القيمة مثل الغابات الحلفاء والمياه...؛
- الثروات الطبيعية كالحديد والفوسفات والزنك والرصاص خاصة وان نهم الموارد الطبيعية كان إستراتيجية أوربية لتزويد الصناعة الأوربية بالمواد الأولية؛
- ثروة حيوانية كبيرة ومتنوعة؛
- انهاء ملف الديون وايجاد اسواق جديدة.

3. البعد السياسي: بعد سقوط نابليون بونابرت وعودة الملكية واعتلاء شارل العاشر للعرش في فرنسا، شهدت البلاد اضطرابات سياسية داخلية خطيرة تستهدف بالدرجة الأولى الملك الذي كان يعاني من:

- أزمة شرعية (عودته بعد سقوط نابليون كانت مثيرة للجدل خاصة وان الشعب الفرنسي قد دفع ثمنا باهضا في ثورته ضد الملكية سنة 1789م؛
- صراع مع البرلمان الليبرالي المتمسك بشدة بمبادئ الثورة وبميثاق الحريات؛
- انخفاض حاد في شعبيته لتوجهاته الدينية "سلطة الهية"؛

- تقييد الحريات الإعلامية والانتخابية ومحاولة العودة بالبلاد إلى القرون الوسطى وسلطة الكنيسة.
- احتلال الجزائر الحدث الأعظم الذي سيصرف أنظار الفرنسيين عن الملك والمشاكل الداخلية لفرنسا؛
- وافق مجلس الوزراء على الحملة في 31 يناير 1830م، بعد حملة تعبئة كبيرة من بولينياك رئيس الوزراء على الرغم من معارضة بعض الوزراء الذين توقعوا فشلها أو كلفتها الباهظة.

4. **حملة التعبئة الإعلامية والدينية:** سبقت الحملة حملة إعلامية واسعة في الصحف الفرنسية، وكذا دعاية دينية ومباركة كنسية:

- تضخيم حادثة المروحة باعتبارها "إهانة وطنية لفرنسا، وان ما حدث عار لحق بشرف الأمة الفرنسية" ؛
- تصوير الجزائر على أنها "مركز للقرصنة والبربرية" يجب القضاء عليه وتخليص اوربا من "الوباء البحري" بتعبير مؤرخيهم؛
- الروح الصليبية الانتقامية التي ما انفكت تثيرها الكنيسة ضد المسلمين.

سابعا: الحملة العسكرية:

1. التحضير والإنزال

بعد ثلاث سنوات من الحصار البحري الذي لم يحقق الأهداف الفرنسية كاملة من الحصار، وافقت الحكومة الفرنسية في 31 جانفي 1830م على شن حملة عسكرية شاملة ضد الجزائر، جُهزت أكبر قوة عسكرية فرنسية منذ عهد نابليون، والتي كانت تراهن عليها فرنسا لتكون نهائية، وانجاز ما عجزت عنه اساطيل اوربا منفردة ومجتمعة طيلة 3 قرون من الزمن.

في 31 يناير1830، عقد مجلس الوزراء الفرنسي برئاسة الأمير دي بولينياك اجتماعًا حاسمًا، رغم معارضة بعض الوزراء الذين حذروا من مغامرة عسكرية قد تفشل أو ترهق الميزانية، ووافق المجلس على شن الحملة بأغلبية الأصوات، وأُبلغ الجنرال **لويس أوغوست**

فيكتور دو بورمون (Louis Auguste Victor de Bourmont) بتكليفه بقيادة الحملة، لتميزه بسيرة عسكرية حافلة بالتجارب والانجازات.

جُهزت الحملة بأكبر الأساطيل وأكبر الجيوش التي أعدتها فرنسا منذ الحروب النابليونية، انطلقت الحملة في 25 مايو 1830م من ميناء تولون (Toulon) متجهًا نحو الجزائر، متكونة من 675 سفينة منها 104 سفينة حربية و571 سفينة لنقل الجند والمؤونة والذخائر، ومن 37603 مقاتل منهم، 28000 جندي مشاة، و4000 فارس و5603 جندي مدفعية، استغرقت رحلة العبور حوالي 20 يومًا، حيث وصل الأسطول إلى سواحل الجزائر في 14 جوان 1830م.

2.الانزال بمنطقة سيدي فرج:

في حقيقة الأمر كان القادة العسكريون قد اختاروا مسبقا منطقة سيدي فرج لنزول الحملة بناء على تقارير ومخطط الجاسوس بوتان[162]، لأن القادة الفرنسيين قبل الحصول على ملف الجوسسة كانوا في حيرة وخشية من ان تفشل الحملة كما حدث لكل الحملات الأوربية، وانتهت المشاروات على اختيار منطقة سيدي فرج للاعتبارات التالية:

- الإنزال المباشر في ميناء الجزائر مخاطرة كبيرة بسبب التحصينات ومواجهة سلاح المدفعية القوى؛
- الإنزال في موقع قريب يحتاج إلى شاطئ واسع يسمح بإنزال عدد كبير من الجنود والمعدات؛
- اختيار شاطئ سيدي فرج الواقع غرب الجزائر العاصمة، كونه، شاطئ واسع يمتد لعدة كيلومترات، وموقع غير محصن بتحصينات دفاعية كافية، وقريب من العاصمة (حوالي 25 كيلومترًا)، ويسمح بإنزال المدفعية والفرسان بسهولة.

162فانسان– ايف بوتان، Vvincent– Yves Boutin، ضابط فرنسي في سلاح الهندسة، اشتهر باسم جاسوس نابليون، قام بمهمة استخباراتية سرية الى الجزائر سنة 1808م، حيث جمع معلومات دقيقة استخدمت كأساس لخطة احتلال الجزائر، جاء الى الجزائر كزائر للقنصل الفرنسي، ثم اخذ في التحرك في محيط العاصمة متنكرا في زي صياد سمك، واكمل نهمته في 52 يوما بعدما جمع معلومات دقيقة عن تحصينات العاصمة وابوابها ومدفعيتها واسوارها وحت عمق مياه البحر في منطقة سيدي فرج.

وبالمقابل: كانت التحصينات الجزائرية محدودة في سيدي فرج، فهي تقتصر على حصن سيدي فرج القديم الذي بناه خير الدين بربروس في القرن السادس عشر، به عدد قليل من المدافع، وكانت الحامية الجزائرية في الموقع صغيرة، ولم تكن متوقعة أن تكون نقطة الإنزال الرئيسية في ذلك المكان، لكن بعدما علمت من جواسيسها لم يكن الوقت في صالحهم.

3.عملية الإنزال (16-14 يونيو 1830)

في صباح 14 يونيو 1830، بدأت القوات الفرنسية عملية الإنزال، حيث نزل الفوج الأولى من الجنود (حوالي 3,000 جندي) في الساعات الأولى، ثم قامت القوات المختصة بتأمين رأس الجسر وفتح الطريق للأفواج التالية، واستمر الإنزال لعدة أيام متتالية دون انقطاع.

المقاومة الجزائرية للحملة الفرنسية .4

عندما علم الداي حسين بمكان نزول الحملة من جواسيسه في مالطا وجبل طارق امر الآغا إبراهيم آغا (قائد القوات البرية الجزائرية) بالتحرك بسرعة مع قواته لمواجهة الفرنسيين، لكنه واجه صعوبات جمة، تجدر الاشارة هنا، الى ان الحاج احمد باي قائد بايليك الشرق كان موجودا بالعاصمة لآداء الدنوش وكان برفقته 400 فارس.

اعطيت له الأوامر للالتحاق بالمكان الذي تجمع في الجيش، وعقدت ندوة لتحديد خطة للدفاع عن البلاد، وشارك فيها الآغا ابراهيم صهر الداي حسين، ومصطفى باي التيطري، وخوجة الخيل وخليفة باي الغرب، ودار بينه وبين ابراهيم آغا حوارا حول كيفية مواجهة الحملة الفرنسية وادارة المعركة باستراتيجية تمكننا من احراز النصر[163].

يقول احمد باي "**ان ابراهيم آغا "اقترح بناء حصون على شاطئ سيدي فرج وتزويدها بالمدفعية لمنع الفرنسيين من النزول، وأجبت ان الفكرة سديدة لكن لا نستطيع العمل بها بسرعة، لا وقت لبنائها، ولا يمكن جر المدافع من العاصمة التي يجب الدفاع عنها بضراوة، وحتى وان قمنا بذلك فلن تدعنا المدفعية الفرنسية، علينا ان نقوم بمناوشات لمنع الحملة من**

---

163 محمد العربي الزبيرين مذكرات احمد باي وحمدان خوجة وبوضربة،(الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1981). 12.

النزول، واذا استحال ذلك، يجب ان ننسحب الى مؤخرة جيش العدو، ويمكن ان نمدد الحرب لأطول وقت ممكن لأنهم لا يتحملون مناخنا ويريدون انهاء العملية بسرعة، واذا ساروا نحونا، فاننا نتجه نحو وادي مزفران، وعنها يحدث احد الأمرين، اما ان يسيروا ويتجهوا نحو العاصمة، واما ان يسيروا نحونا، فاذا ساروا نحو العاصمة ننقض على مؤخرة جيشهم ونقطع الاتصال بينهم وبين مراكبهم، واذا ساروا نحونا نتجنب المعركة ونجرهم الى مكان بعيد عن العاصمة ونقضي عليهم، واجاب ابراهيم آغا بحمية جاهلية وثقة في نجاح خطته ومواجهة الفرنسيين مباشرة"، فانتصر الفرنسيون في المعركة الأولى بسيدي فرج وتراجع الجيش الوطني الى منطقة اسطاوالي، وبعد معركة طاحنة بها، تقدم الفرنسيون وهاجموا برج الحسن، وحينها فقد الداي كل آماله في النصر وسقطت العاصمة يوم 05 جويلية 1830م"[164]

5. حصار العاصمة (29 يونيو – 4 يوليو 1830)

في 29 جوان 1830، وصلت القوات الفرنسية إلى مشارف الجزائر العاصمة. بدأت عمليات تطويق المدينة، حيث تمت محاصرتها برا من الجهة الغربية والجنوبية، وبحرا تم اغلاق الميناء من طرف الأسطول الفرنسي لمنع أي إمدادات للجيش الجزائري وسكان العاصمة، والتي كانت الأوضاع داخلها صعبة للغاية، حيث سُجل نقص حاد في المؤن والذخيرة، ونوع من الشك والارباك في صفوف الحامية والمواطنين بسبب الانكسارات المتتالية في المعارك التي دارت بين الطرفين من سيدي فرج الى غاية مشارف العاصمة، كما سجلت بعض الاختلالات والخلافات بين القادة، وفقدان الأمل في وصول الامدادات من البيايلك وضواحي العاصمة.

ثامنا: المفاوضات بين الداي حسين والجنرال د ي بورمون.

في الأيام الأولى من جويلية، بدأ الداي حسين في استكشاف إمكانية التفاوض لامكانية ايجاد حل مشرف، فأرسل رسائل إلى القيادة الفرنسية يطلب فيها شروطًا تحفظ كرامته وكرامة سكان

164نفس المرجع،16.15.14.

المدينة، وفي 4 جويلية 1830م، بدأت المفاوضات الجادة بين الداي حسين والجنرال دو بورمون، وتم الاتفاق على الشروط التالية[165]:

- تسليم القصبة (القلعة) والموانئ والحصون للقوات الفرنسية؛
- ضمان سلامة الداي وحاشيته وأفراد أسرته؛
- السماح للداي بالاحتفاظ بممتلكاته الشخصية؛
- ضمان حرية ممارسة الدين الإسلامي لسكان الجزائر؛
- احترام المقدسات الإسلامية (المساجد، الزوايا، المقابر)؛
- عدم التعرض للمواطنين الجزائريين في أموالهم وأنفسهم.

في صباح 5 جويلية 1830م، دخلت القوات الفرنسية إلى الجزائر العاصمة، ورفع العلم الفرنسي فوق قلعة القصبة (التي كانت مقرا للحكم لأكثر من ثلاثة قرون، ثم غادر الداي حسين مع حاشيته القصر، وتم نقله تحت الحماية الفرنسية الى مكان آمن، ثم نُقل ليغادر إلى(نابولي بإيطاليا) حيث أمضى بقية حياته في المنفى، توفي هناك سنة 1838م.

ساد الهدوء في العاصمة لوقت قليل، هناك من غادر من السكان نحو المناطق الداخلية، وآخرون لزموا بيوتهم، وتعاون الكثير من اليهود مع القوات الفرنسية، ويمكن ايجاز اسباب النكبة فيما يلي[166]:

- التفوق العسكري الفرنسي في العدد والتسليح والتنظيم؛
- الضعف الداخلي للإيالة بسبب صراعات سياسية وتراجع الانضباط العسكري؛
- غياب الدعم الخارجي للدولة لا من الدولة العثمانية ولا من الايالات العثمانية؛
- سوء التخطيط والتنظيم الجزائري وعدم وجود خطة لإستراتيجية دفاعية متكاملة؛
- اسناد القيادة العسكرية لقائد غير كفء.

لكن سقوط العاصمة لم يكن نهاية المقاومة، بل كان بداية مرحلة جديدة من النضال والمقاومة ضد الاحتلال الفرنسي الذي استمر 132 سنة.

165.عمار بوحوش، مرجع سابق.105

166.صالح فركوس، مرجع سابق.145.

ثانيا: مقاومة الاحتلال الفرنسي للجزائر:

عشية سقوط العاصمة واستلام الجنرال دي بورمون قصر الجنينة، ظن الفرنسيون ان احتلال ما تبقى من مدن جزائرية هي قضية اشهر قليلة وتختفي هذه الدولة التي ارعبت اوربا وقوضت مضاجع ملوكها لأكثر من 3 قرون إلى الأبد، لكن ما كان يجهله الفرنسيون هي الطبيعة النضالية والثورية للجزائريين، فلم تنته احتفالات النصر حتى اندلعت أكثر من مقاومة، ولعل أولها واشهرها هي مقاومة الأمير عبد القادر.

المقاومة المسلحة بقيادة الأمير عبد القادر 1832/1847م:

تُعد مقاومة الأمير عبد القادر بن محي الدين (1808–1883) واحدة من أهم مراحل الكفاح المسلح ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر في مرحلته الأولى، تميزت هذه المقاومة بقدرتها على توحيد القبائل الجزائرية وبناء دولة حديثة الأسس، مما جعلها تشكل تحديًا حقيقيًا لواحدة من أقوى الجيوش الأوروبية في ذلك الوقت.

لم تكن مقاومة الأمير مجرد حركة عسكرية عابرة، بل كانت مشروعًا حضاريًا متكاملاً جمع بين الأبعاد الدينية والسياسية والاجتماعية، وقد حظيت بإعجاب واسع في العالم الغربي نظرًا لتمسك الأمير بمبادئ إنسانية راقية، خاصة في تعامله مع الأسرى .

1. شخصية الأمير عبد القادر:

هو عبد القادر بن محي الدين بن مصطفى الحسني، ينحدر من أسرة شريفة تعود في نسبها إلى الحسن بن علي بن أبي طالب. وُلد في قرية القيطنة في سهل اغريس بالقرب من مدينة معسكر في الغرب الجزائري في 6 سبتمبر1808م[167].

نشأ الأمير في بيت علم ودين، حيث كان والده محي الدين شيخًا للطريقة القادرية ومديرًا لزاوية علمية، تلقى تعليمًا تقليديًا متميزًا في العلوم الشرعية واللغة العربية والفقه،

167.صالح فركوس، مرجع سابق.154.

وتمكن من حفظ القرآن الكريم كاملاً في سن الرابعة عشرة، فنال لقب "حافظ"، كما أتقن الفروسية والرماية، واهتم بالشعر والخطابة، مما أكسبه قدرة على التأثير في الناس.

في سن العشرين ارسله والده محي الدين الى وهران في رحلة علمية، حيث تعمق في دراسة الفقه والحديث واصول الشريعة والرياضيات والتاريخ والجغرافيا على يد الستاذ " احمد طاهر البطيوي" قاض ارزيو، وفي عام 1825، قام برفقة والده برحلة الحج إلى مكة المكرمة، وزار كلاً من دمشق وبغداد، وفيهما التقى بكبار العلماء[168]، مما عزز انتماءه الديني والروحي .

اتصف الأمير عبد القادر بالوسامة والقامة المعتدلة واللحية السوداء، كما عُرف بالأخلاق الرفيعة والتواضع، حيث كان يعيش حياة بسيطة بعيدًا عن الترف، مفضلاً العيش في الخيمة على القصور. جمع إلى جانب شجاعته العسكرية، ثقافة واسعة وقدرة على الخطابة والتأليف، وقد أظهر على الدوام التزامًا بقواعد الشريعة الإسلامية وحسن معاملة الأسرى، مما أكسبه احترام خصومه قبل أصدقائه .

2. مراحل مقاومة الأمير عبد القادر

قسَّمت مقاومة الأمير عبد القادر للاحتلال الفرنسي إلى ثلاث مراحل رئيسية، تعكس تطور حركته العسكرية والسياسية :

1.2. مرحلة التأسيس والقوة (1832-1837)

بدأت هذه المرحلة بعد سقوط الجزائر بيد الفرنسيين (1830) وبداية توسعهم لاخضاع مدينة وهران،قبل تولى الأمير قيادة المقاومة في الغرب الجزائري، حيث خاض الجزائريون

168.اسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء المير عبد القادر،(الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،1982).39.38.

العديد من المعارك والهجمات بقيادة الشيخ محي الدين والد الأمير ضد القوات الفرنسية المرابطة باقليم وهران والتي شارك فيها الأمير عبد القادر مقاتلا ضمن سلاح الفرسان[169].

2.2.مبايعة الأمير عبد القادر:

بعد أن تقدم والده محي الدين بالعمر واعتذاره لصعوبة القيادة ومواصلة الجهاد في هذه السن المتقدمة، ومع إلحاح السكان والمريدين، اشار الى ابنه عبد القادر من بين كل ابنائه، لما رآه ويعلمه من مؤهلات مختلفة ومتعددة في ابنه عبد القادر، فتمت مبايعة الأمير عبد القادر[170] قائدًا للجهاد تحت شجرة الدردار بوادي فروحة بسهل أغريس، ثم في مسجد معسكر الكبير في 27 نوفمبر 1832م، حيث نودي به "أمير المؤمنين". كان هذا الاختيار نتيجة لمكانته الدينية وعلمه ونسبه الشريف، مما جعله الشخصية القادرة على توحيد القبائل

موقع اقحاح الجزائر وأبناء الأمير عبد القادر بن محي الدين

https://: ahjazaery.com

169نفس المرجع.41.

170 نص البيعة " بعد انعقادا لبيعة للامام المعظم والأمير الجليل المفخم، ابن اخينا السيد عبد القادر بن محي الدين، احيا الله بهما الدين وأعانهما على القيام بامور اهله... بايعناه على السمع والطاعة وامتثال الامر ولو في ولد الواحد منا، او نفسه، وقدمنا نفسه على انفسنا وحقه على حقوقنا"

3.2- توحيد القبائل وتنظيم المقاومة:

عمل الأمير على توحيد قبائل الغرب الجزائري تحت راية الجهاد، وبعد البيعة الثانية في 4 فيفري 1833 في قصر الامارة،اختار الأمير معسكر عاصمة له، وشكل مجلسا للشورى يتكون من 11 عضوا برئاسة القاضي احمد بن الهاشمي[171]، كما قسم البلاد اداريا الى ثمان وحدات وعين عليها خلفاء له، والتي كانت كالتالي[172]:

- تلمسان: محمد البوحميدي الولهاصي؛
- مليانة: محي الدين بن علال القليعي ثم محمد بن علال؛
- التيطري: مصطفى بن محي الدين ثم محمد البركاني؛
- مجانة "برج بوعريريج": محمد بن عبد السلام المقراني ثم محمد الخروبي؛
- بسكرة: فرحات بن سعيد ثم الحسين بن عزوز؛
- برج حمزة " البويرة": احمد بن سالم الدبيسي؛
- المنطقة الغربية من الصحراء: قدور بن عبد الباقي.

ونجح في بسط نفوذه على معظم مناطق الغرب بصعوبة كبيرة لكثرة الاضطرابات ورفض دفع الضرائب وتعاون بعضهم مع السلطات الاستعمارية، بما في ذلك تلمسان ومليانة ثم التيطري (المدية)، كما عمل على تنظيم الجيش وإنشاء ورش لصناعة الأسلحة والذخيرة، ووضع نظامًا للرتب العسكرية، وسك عملة باسمه.

بعد ان وطّد الأسس الرئيسة للدولة الجزائرية الحديثة، شرع في مواجهات متتالية وعنيفة ضد القوات الفرنسية المتمركزة في إقليم وهران، واعتمد إستراتيجية حرب العصابات وألحق بالقوات الفرنسية بذات الاقليم هزائم نكراء، في خنق النطاح الأولى في 29 ماي 1832م بالقرب من وهران، والثانية في 4 جوان 1832م وأسفرتا عن خسائر كبيرة بالنسبة

171صالح فركوس، مرجع سابق.155.

172عمار بوحوش، مرجع سابق.114.

للفرنسيين، ومعركة برج العين، انتهت الهزائم باضطرار الجنرال "دي ميشال" الى توقيع معاهدة مع الأمير سنة 1834م، والتي نصت على ما يلي[173]:

- يُعين الأمير عبد القادر وكلاء له في مدن مستغانم، وهران، وارزيو، كما تعين فرنسا وكيلا لها في معسكر؛
- احترام الديانة الاسلامية؛
- التزام الفريقان برد الأسرى؛
- اعطاء الحرية الكاملة للتجارة؛
- لا يسمح لأي أوربي ان يسافر داخل البلاد إلا إذا كان يحمل رخصة من وكلاء الأمير وموافقة الجنرال الفرنسي.

اعتبرت المعاهدة اعترافا رسميا بالدولة الجزائرية بقيادة الامير عبد القادر

معاهدة دي ميشال 1834: https://ar.wikipedia.org/wiki

173نفس المرجع.116.

4.2. معركة وادي المقطع (1835):

اندلعت الحرب من جديد، خاصة وان الأمير قد استطاع القضاء على الفتن الداخلية بانتصاره على مصطفى بن اسماعيل في 12/07/1834م، مما زاد من توسع نفوذ الامير عبد القادر، الأمر الذي حرك توجس القادة العسكريين الفرنسيين في المنطقة، حينها نقض الفرنسيون المعاهدة "دي ميشيل 1834" وتم نقل دي ميشال الى باريس وتعويضه بالجنرال تريزل سنة 1835م، الذي بدأ يختلق الذرائع للاخلال بالمعاهدة، فأمر الأمير القبائل في اقليم وهران بمقاطعة الفرنسيين تجاريا، وأدخلت فرنسا بعض القبائل تحت حمايتها.

اعتبر الأمير ذلك إخلالا بالمعاهدة، فأعلن القتال من جديد والتقى الجيشان يوم 26 جويلية 1835 في معركة وادي المقطع الشهيرة والتي حقق فيها الأمير نصرًا كبيرًا على القوات الفرنسية بقيادة الجنرال تريزيل في غابة مولاي إسماعيل قرب سيق، أدت إلى إقالة القائد العام الكونت ديرلون والجنرال تريزيل، وكان للهزيمة وقع وصدى كبيرين في الأوساط السياسية في فرنسا وأوربا، ومن جهة أخرى عززت شرعية الامير ودولته.[174]

5.2. معاهدة تافنة 1837:

بعد سلسلة من المعارك طيلة سنة 1836 والتي ابلي فيها الأمير وجيشه البلاء الحسن على الرغم من قلة قواته ومعداته وذخائره، والتمردات في صفوف القبائل والعشائر الناتجة عن الدسائس الفرنسية، ولعّل أشهر الانتصارات في هذه المرحلة العصيبة كانت معركة التافنة في 25 جانفي 1836م، مما اضطر الفرنسيون إلى عقد "معاهدة تافنة" مع الأمير في 30 مايو 1837م، والتي اعترفت فيها فرنسا بسيطرته على ثلثي مساحة الجزائر مقابل اعترافه بالسيادة الفرنسية على المدن الساحلية "الجزائر ووهران"، كانت هذه المعاهدة نقطة تحول مهمة، إذ منحت الأمير فترة من السلام لاعادة بناء دولته [175].

174اسماعيل العربي، مرجع سابق.50.49.

175عمار بوحوش، مرجع سابق.118.

فيما يلي نص معاهدة التافنة:[176]

المادة 1 : يعترف الأمير بسلطة فرنسا في الجزائر

المادة2 : يبقى لفرنسا في إقليم وهران : مستغانم ومزغران وأراضيهما ووهران وارزيو وأراضيهما يحد ذلك شرقا : نهر المقطع والبحيرة التي يخرج منها بخط ممتد من البحيرة المذكورة فيمر على الشط الجاري إلى الوادي المالح على مجرى نهر سيدي سعيد ومن هذا النهر إلى البحر بحيث يصير ضمن كل ما في هذه الدائرة من الأراضي الفرنسية.

وفي إقليم الجزائر : مدينة الجزائر مع الساحل وارض متيجة يحد ذلك شرقا : وادي القدرة وما فوقه وجنوبا راس الجبل الأول من الأطلس الصغير إلى نهر الشفة مع البليدة وأراضيها وغربا : نهر الشفة إلى كوع مزفران ومن ثم بخط مستقيم إلى البحر فيكون ضمنه القليعة مع أراضيها بحيث يصير كل ما في الدائرة من الأراضي للفرنسيين.

المادة 3 : على دولة الأمير أن تعترف بإمارة الأمير عبد القادر على إقليم وهران وإقليم التيطري والقسم الذي لم يدخل في حكم فرنسا من إقليم مدينة الجزائر لجهة الشرق بحسب التحديد المعين في المادة الثانية ولا يسوغ للأمير أن يمد يده لغير ما ذكر من ارض الجزائر.

المادة 4 : ليس للأمير حكم و لا سلطة على المسلمين من أهل البلاد المملوكة لفرنسا ويباح للفرنسيين أن يسكنوا في مملكة الأمير كما انه يباح للمسلمين أن يستوطنوا في البلاد التابعة لفرنسا.

المادة 5 : إن العرب الساكنة في الأراضي الفرنسوية تمارس ديانتها بحرية تامة ولهم أن يبنوا جوامع بحسب مرتبهم الديني تحت رئاسة علماء دينهم الإسلامي.

المادة 6 : على الأمير أن يدفع للعساكر الفرنسوية : ثلاثين ألف كيلة من الحنطة ومثلها من الشعير بمكيال وهران وخمسة آلاف راس من البقر يؤدى ذلك كله في مدينة وهران على ثلاثة قسوط:

الأول من غرة أوت إلى 15 سبتمبر والقسطين الآخرين يدفعان بانتهاء كل شهرين قسطا.

المادة 7 : يسوغ للأمير أن يشتري من فرنسا : البارود والكبريت وما يحتاجه من الأسلحة.

---

176. المتحف الجهوي للمجاهد تلمسان :2024

المادة 8 : إن الكول اوغلي الذين يريدون أن يقيموا في تلمسان أو غيرها من المدن الإسلامية لهم أن يتمتعوا بأملاكهم بكامل الحرية ويعاملون معاملة الحضر والذين يريدون منهم الانتقال إلى الأراضي الفرنسوية تكون لهم الرخصة لبيع أملاكهم أو إيجارها بكل حرية.

المادة 9 : على فرنسا أن تتخلى للأمير على اسكلة رشكون ومدينة تلمسان وقلعة المشور مع المدافع التي كانت فيها قديما ويتعهد الأمير بنقل الذخائر والأمتعة العسكرية التي للعساكر الفرنسوية في تلمسان إلى وهران.

المادة 10 : المتجر : (التجارة) يكون حرا بين العرب والفرنسوية وللجميع أن يتمتعوا بالتبادل في كل من الأرضين.

المادة 11 : تكرم الفرنسوية عند العرب كما تكرم العرب عند الفرنسوية وكل ما تملكته أو تتملكه الفرنسوية من الأملاك في بلاد العرب يكفل لهم حفظه بحيث يتمتعون به بكل حرية ويلتزم الأمير بان يدفع لهم الضرر الذي تحدثه النوائب فيها

المادة 12 : يكون رد المجرمين بين الطرفين بالتبادل.

المادة 13 : يتعهد الأمير بان لا يعطي أحدا من الدول. الأجنبية قسما من الشاطئ إلا برخصة من فرنسا

المادة 14 : لا يسوغ بيع من محصولات الإقليم ولا شراء... إلا في الأسواق الفرنسوية.

المادة 15 : لدولة فرنسا أن تعين في المدن التي في مملكة الأمير وكلاء ينظرون في أشغال الرعايا الفرنسوية وحل المشكلات التجارية فيما بينهم وبين العرب وكذلك للأمير أن يضع وكلاء من طرفه في المدن التي تحت إدارة الدولة الفرنسية.

حرر في تافنة في السادس من ربيع الأول سنة 1253 أول جوان سنة 1837

6.2.مرحلة الهدوء المؤقت وتنظيم الدولة (1839-1837)

استغل الأمير فترة الهدوء التي منحتها معاهدة تافنة لآعادة بناء وتنظيم الدولة بطريقة حديثة ومتكاملة الأركان .

أ- التنظيم الإداري:

- أنشأ مجلسًا وزاريًا مصغرًا ضم: رئيس الوزراء، ووزراء للخارجية، المالية، الأوقاف، والعشور؛
- أقام مجلسًا استشاريًا أعلى من 11 عضوًا يمثلون مختلف المناطق؛
- قسم البلاد إلى ولايات وعين على رأس كل ولاية "خليفة"، وقسمت الولايات إلى مقاطعات يديرها "أغوات على النحو التالي[177]:

ب- التنظيم المالي:

نظّم الميزانية وفق نظام الزكاة، وفرض ضرائب إضافية لتغطية نفقات الجهاد ودعم المدارس. عمل على سك عملة خاصة أطلق عليها اسم "المحمدية.

ج- التنظيم العسكري:

أنشأ جيشًا نظاميًا قوامه حوالي 2000 مقاتل، مزودًا بأسلحة حديثة تم شراؤها من بريطانيا،وأقام مصانع للأسلحة والذخائر في المناطق الداخلية وراء جبال الأطلس، وبنى حصونًا على تخوم الصحراء لتعزيز قوة جيشه.

د- الرموز الوطنية:

أنشأ الأمير علمًا وطنيًا وشعارًا رسميًا للدولة، وأقام علاقات دبلوماسية مع بعض الدول الأوروبية والدولة العثمانية . تُجدر الاشارة الى ان السلطات الفرنسية بدورها قد استغلت هدنة معاهدة التافنة في:

177عمار بوحوش، مرجع سابق.115.114.

- تخفيف شدة الحصار الجزائري المضروب على المراكز الفرنسية؛
- التفرغ للقضاء على مقاومة احمد باي في الشرق؛
- اعداد فرق عسكرية خاصة بحرب الجبال؛
- انتظار وصول الامدادات العسكرية من فرنسا.

7.2.مرحلة حرب الابادة وانهاء القتال (1839-1847)

شهدت هذه المرحلة انهيار اتفاق تافنة ودخول المقاومة في مرحلة التصعيد وخططت فرنسا للمرحلة لتكون حرب ابادة ضد الثوار والسكان، حيث تم خرق اتفاقية التافنة من طرف الماريشال "فالي" في 15 اكتوبر 1839م، وذلك بانتهاك قواته للاراضي الواقعة تحت سيادة الأمير عبد القادر، واستأنف القتال، واعتمد "بيجو" استراتيجية الابادة والأرض المحروقة وضيق الخماق على الأمير في تواصلاته الخارجية وضغط على سلطان المغرب عبد الرحمان بعدم السماح للأمير بدخول الراضي المغربية، وتم القضاء على الكثير من اتباعه سقوط تاغديمت، عاصمة الأمير سنة1841م، وفقدان تلمسان سنة 1842م، ثم اكتشاف عاصمتة المتنقلة "الزمالة" سنة 1843م.

بعدها لجأ الأمير إلى المغرب في أكتوبر 1843، لكن السلطان المغربي اضطر للتخلي عنه بعد قصف الأسطول الفرنسي لمدينتي طنجة والصويرة، فعاد إلى الجزائر في سبتمبر 1845 محاولاً تنظيم المقاومة من جديد، لكنه فقد أهم مساعديه، حينها ضاقت به السبل ووجد نفسه مضطرا للتواصل مع القائد الفرنسي "لامورسيير"في 21 ديسمبر 1847م لاعداد ترتيبات انهاء القتال والسماح له بالسفر الى البلد الذي يريد "الإسكندرية أو عكا".

لكن الفرنسيين نقضوا وعدهم، وسجنوه في فرنسا (في أمبواز) لمدة خمس سنوات، ثم أطلق سراحه عام 1852 بفضل نابليون الثالث، فهاجر مع عائلته إلى دمشق حيث استقر حتى وفاته 1883م[178]، توفي الأمير عبد القادر في دمشق في 26 مايو 1883، ونُقل رفاته إلى الجزائر عام 1966، حيث دُفن في مقبرة العالية بمناسبة الذكرى الرابعة لاستقلال الجزائر.

---

178 نفس المرجع.120.119.

ثانيا: مقاومة الاحتلال الفرنسي بقيادة احمد باي

تعد مقاومة احمد باي واحدة من أبرز حلقات الكفاح المسلح ضد الاحتلال الفرنسي للجزائر في مراحله الأولى، بصفته آخر بايات قسنطينة في الدولة الجزائرية في عهد الدايات، قاد أحمد باي مقاومة شرسة استمرت نحو سبعة عشر عامًا (1830–1848)، تميزت بتنظيم إداري محكم وقدرة على توحيد القبائل واستراتيجيات عسكرية ذكية،وشكلت مقاومته نموذجًا فريدًا للصمود في وجه آلة عسكرية أوروبية حديثة،

1.شخصية أحمد باي

هو أحمد بن محمد الشريف، المعروف باسم الحاج أحمد باي، وُلد في قسنطينة حوالي عام 1784م، وينحدر من اب كرغلي ولد في الجزائر، جده لأبيه هو أحمد باي القلي الذي حكم قسنطينة من 1756م إلى 1771م، والده محمد الشريف كان خليفة للباي حسين بين 1792م و1795م، أما والدته فهي الحاجة شريفة بنت بن قانة، من قبيلة قوية وعريقة من الصحراء، التي لعبت دورًا مهمًا في تربيته وتعليمه.

يُذكر ان احمد باي تلقى تربية جزائرية خالصة في بيت اخواله، حفظ القرآن ونهل من علوم كثيرة وتعلم الفروسية وتدرب على القتال، فكان رجلا حاسما وشجاعا، هذه الصفات التي جعلت الداي يعينه بايا على اكبر مقاطعات الدولة "بايليك الشرق". فابان احمد باي اثناء ممارسته هذه المسؤولية عن مهارة كبيرة وخبرة واسعة في كسب ثقة الاهالي وتجنيدهم الى جانبه معاونة ومآزرة[179].

2. مراحل مقاومة أحمد باي للاحتلال الفرنسي:

يمكن تقسيم مقاومة أحمد باي إلى ثلاث مراحل رئيسية تعكس تطور الصراع مع الاحتلال الفرنسي :

179محمد العربي الزبيري، مرجع سابق.07.06.

1.2.الولاية والمواجهة الأولى (1826–1836): بدأت هذه المرحلة بتعيين أحمد باي واليًا على قسنطينة عام 1826، واستمرت حتى معركة قسنطينة الأولى عام 1836م، كان تعيينه خلفًا لمحمد باي المعلامي، بدأ فور توليه الحكم في تنظيم الإدارة وتحديث الجيش، متأثرًا بما شاهده في مصر من إصلاحات[180] .

2.2. إصلاحات أحمد باي: شرع أحمد باي في تحديث شاملة للبايلك، شملت:

التنظيم العسكري: أنشأ وحدات عسكرية نظامية من بضعة آلاف من المقاتلين جُندوا من القبائل العربية والقبائلية، وأقام مصانع للأسلحة والذخائر؛

التنظيم الإداري: أعاد هيكلة الإدارة المحلية، واعتمد على مجالس استشارية تضم الأعيان وشيوخ القبائل؛

البنية التحتية: شهدت قسنطينة في عهده ازدهارًا عمرانيًا، حيث تم بناء قصره الشهير (بدأ عام 1828 وانتهى عام 1832) والعديد من المنشآت العامة ؛

3.2. موقفه من الحملة الفرنسية على الجزائر 1830: عندما علم أحمد باي بالنوايا الفرنسية لغزو الجزائر، توجه إلى الجزائر العاصمة ومعه نحو 400 فارس، وفي المجلس الحربي الذي عُقد قبل إنزال الفرنسيين، قدم خطة استراتيجية محكمة تقضي بترك الفرنسيين ينزلون ثم محاصرتهم من الداخل وقطع خطوط إمدادهم، لكن الداي حسين فضل خطة صهره إبراهيم آغا بالقتال على الشواطئ، مما أدى إلى الهزيمة السريعة .

4.2. موقفه بعد سقوط العاصمة: بعد سقوط الجزائر في 5 يوليو 1830، رفض أحمد باي الاعتراف باستسلام الداي، وأعلن الجهاد، واتخذ من قسنطينة قاعدة لمقاومته، وفي عام 1833، اتخذ لقب "داي باشا" (حاكم الجزائر في المنفى) بدعوى رغبة سكان الجزائر في ذلك، مؤكدًا تمسكه بالارتباط العثماني .

5.2.سقوط عنابة:

180نفس المرجع.07.

عرفنا كيف ابلى احمد باي في معركة ضد الحملة الفرنسية في سيدي فرج واسطاوالي والعاصمة، ورفضه لجميع العروض من طرف "د يبرمون" لاغرائه بالمناصب السياسية مقابل الاعتراف بالسلطة الفرنسية على الجزائر، وبعد سقوط عنابة سنة 1832م عاودت فرنسا سياسة الترغيب وهاته المرة من طرف " كلوزيل"، وعندما يئست فرنسا من امكانية استمالة احمد باي، غيرت سياسة الترغيب بسياسة الترهيب علّها تنال من عزيمة احمد باي وتثنيه عن مواقفه السابقة. وبعد تبادل الكثير من رسائل الترغيب والترهيب بين احمد باي والادارة الاستعمارية في العاصمة وعنابة، تقرر الزحف على مدينة قسنطينة لاخضاعها بالقوة.

6.2.معركة قسنطينة الأولى 1836: في نوفمبر 1836، قاد الماريشال كلوزيل حملة عسكرية كبيرة لاقتحام قسنطينة، تصدى أحمد باي وقواته للهجوم الفرنسي ببسالة، مما اضطر الجيش الفرنسي إلى الانسحاب بعد خسائر فادحة بلغت عدة آلاف من القتلى والجرحى، كانت هذه المعركة نصرًا كبيرًا لأحمد باي ومقاومته .

تضافرت عدة عوامل في تحقيق هذا النصر المبين ومنها[181]:

- الحصانة الطبيعية لموقع مدينة قسنطينة، والظروف المناخية التي كانت قاسية في ذلك الشهر؛
- اعتماد احمد باي على جيش وطني شعبي يتكون من الفرسان والمشاة والمدفعية؛
- انقسام الجيش الفرنسي بين شرق الجزائر وغربها؛
- استراتجية احمد باي في الدفاع والتي كانت شبيهة بالخطة التي اقترحها على ابراهيم آغا لمواجهة الحملة الفرنسية في سيدي فرج.

7.2.معركة قسنطينة الثانية:

بعد عزل كلوزيل وفي أكتوبر 1837م، عاد الجيش الفرنسي بقيادة الجنرال دامريمون (الذي قُتل خلال المعركة) ثم الجنرال فاليه، محاصرًا قسنطينة مجددًا، استمر الحصار عدة أيام موظفا لقوة عسكرية ضخمة العدد والعدة وباستراتيجية جديدة اخذت في الحسبان عوامل

181عمار بوحوش، مرجع سابق.121.

الاخفاق في الحملة الأولى، وتمكن الفرنسيون من اقتحام المدينة في 13 أكتوبر 1837م بعد معارك طاحنة –يقول عنها بعض المؤرخين انها في صمودها وضراوتها لم تتكرر في التاريخ الا في مدينة ستالين غراد بالاتحاد السوفياتي عندما غزاها الالمان في الحرب العالمية الثانية–، نجح أحمد باي في الفرار من المدينة قبل سقوطها، متوجهًا إلى جبال الأوراس لمواصلة المقاومة[182] .

بعد سقوط قسنطينة، أعاد أحمد باي تنظيم صفوفه في جبال الأوراس، حيث تمتع بدعم القبائل المحلية، شن حرب عصابات ضد الاحتلال، مستغلاً التضاريس الوعرة للمنطقة، حاول الحصول على دعم من الدولة العثمانية، لكن طلباته المتكررة باءت بالفشل، وقام بمحاولات التحالف مع القبائل، محاولا استعادة مدينة قسنطينة ومنع الفرنسيين من التوسع جنوبا، في سنة 1842م، حاول أحمد باي من جديد توحيد القبائل التي تفرقت من حوله لدسائس فرنسا في جذبها والضغط عليها، وتصدى لحملة فرنسية بقيادة الجنرال سيلاك في منطقة عموشة شمال سطيف، لكن القوات الفرنسية تمكنت من تحقيق تقدم .

8.2.انهاء مقاومةاحمد باي(1842-1848): تميزت هذه المرحلة بتضييق الخناق على أحمد باي وتآكل قاعدته الشعبية، ويعود ذلك الى[183]:

- تدهور قواته وقلتها، ففي 10 سبتمبر 1842، تمكن الجنرال سيلاك من هزيمة قوات أحمد باي عند سفح جبل بوتالب، مما أدى إلى تقليص نفوذه بشكل كبير، وبدأت قبائل التل تفقد ثقتها فيه وتتخلى عن دعمها له؛
- العزلة والانسحاب وذلك لتزايد الضغط العسكري الفرنسي، مما اضطر أحمد باي إلى الانسحاب إلى مناطق نائية في الأوراس، محاولا مرارًا إحياء المقاومة، لكن الإمكانات المحدودة والتفوق العسكري الفرنسي حال دون تحقيق ذلك ؛
- بعد سبعة عشر عامًا من المقاومة المتواصلة، اضطر أحمد باي ان يسلم نفسه للقوات الفرنسية في 05 جوان سنة 1848م، نُقل إلى الجزائر العاصمة، حيث وُضع تحت الإقامة الجبرية .

182صالح فركوس، مرجع سابق169.

183عمار بوحوش، مرجع سابق.123.

توفي أحمد باي في الجزائر العاصمة في 30 أغسطس 1850م، وبناءً على وصيته، دُفن في مقبرة الثعالبية (سيدي عبد الرحمن الثعالبي) بالقصبة السفلى بالجزائر العاصمة، حيث لا يزال ضريحه الرخامي المكلل بعمامة قائمًا حتى اليوم .

موجز عن المقاومات الشعبية المسلحة بعد مقاومتي الأمير عبد القادر واحمد باي:

إلى جانب المقاومتين الكبيرتين للأمير عبد القادر (في الغرب) وأحمد باي (في الشرق)، شهدت الجزائر العديد من المقاومات الشعبية التي امتدت من منتصف القرن التاسع عشر إلى مطلع القرن العشرين،وهذه أبرزها مرتبة زمنياً:[184]

- الثورة الشعبية (1845 – 1847) بقيادة الشريف محمد بن عبد الله بو معزة في منطقة الأطلس البليدي ومنطقة التيطري وجبال الونشريس ؛
- مقاومة الزعاطشة 1849: بقيادة الشيخ بوزيان في وادي سوف ببسكرة، وانتهت بمجزرة راح ضحيتها الآلاف ، ومنهم الشيخ بوزيان وابنه؛
- مقاومة الشريف بوبغلة (1851 – 1854): بقيادة الشريف محمد الأمجد بن عبد المالك الملقب ببوبغلة في منطقة القبائل والبويرة؛
- مقاومة لالة فاطمة نسومر (1851 – 1857) قادتها لالة فاطمة نسومر في جبال جرجرة القبائل؛
- مقاومة أولاد سيدي الشيخ (1864 – 1888) بقيادة سي سليمان بن حمزة في المنطقة الواقعة بين الأغواط وبشار جنوب غرب الجزائر؛
- مقاومة المقراني والشيخ الحداد (1871 – 1872) قادها محمد المقراني والشيخ الحداد في منطقة القبائل والجزائر الوسطى، وتُعد الأكبر بعد مقاومة الأمير عبد القادر، نتج عنها آلاف الأحكام بالاعدام والنفي الى كاليدونيا الجديدة؛
- مقاومة الشيخ بوعمامة (1881 – 1908) بقيادة الشيخ بوعمامة في منطقة الأطلس الصحراوي جنوب غرب الجزائر؛
- مقاومة الطوارق (1881 – 1928) بقيادة الشيخ أمود بن المختار في منطقة الهقار جنوب الجزائر.

184.المقاومات الشعبية، على الرابط:https://gloriousalgeria.dzاطلع عليه يوم 08/04/2026.

ثالثا: السياسة الاستعمارية في الجزائر:

1.فترة الحكم العسكري (1830-1870):

لم تكن السيطرة العسكرية مجرد وجود جنود، بل تم تنظيمها عبر أجهزة معقدة كان هدفها إدارة الجزائريين وإخضاعهم، بعد سقوط العاصمة بدأ التفكير في انشاء لجنة حكومية لتسيير الشؤون الجزائرية، حيث اسس دبورمون لجنة في اليوم الموالي من سقوط العاصمة، وفشلت واعاد كلوزيل كقائد عام للقوات الفرنسية في الجزائر لجنة اخرى في 16 اكتوبر 1830م تعنى بشؤون العدالة والداخلية والمالية، الا انها فشلت كذلك، بعدها اصدرت الحكومة الفرنسية مرسوما ملكيا يفصل المسائل العسكرية عن المسائل المدنية كالتالي[185]:

- المسؤول الاداري والمالي المدني: القضايا المدنية والموظفين والمسائل المالية الخاصة بالجزائر؛
- رئيس وحدات الاحتلال بافريقيا: جميع العمليات العسكرية، والمحافظة على الأمن والأملاك الفرنسية في افريقيا وقضايا الشرطة والقضايا الأمنية؛
- مجلس الادارة: يتكون من رئيس وحدات الاحتلال في افريقيا والمسؤول الاداري والمالي المدني، ومسؤول البحرية الفرنسية والمسؤول العسكري للجيش، وممثل الجمارك واملاك الدولة.

بعد تعديلات شملت هده اللجنة قدمت هذه الأخيرة تقريرا الى الحكومة الفرنسية بتاريخ 10 مارس 1834م ببسط السيادة الفرنسية على كامل القطر الجزائري، كما ضم اقتراحات بأبعاد خطيرة تجعل الجزائر تحكم وتسير بطريقة عسكرية وخاضعة لوزارة الحرب الفرنسية وتتمثل في[186]:

- خلق منصب الحاكم العام في الجزائر واعتباره مسؤولا عن الشؤون المدنية والعسكرية؛
- تزويد الحاكم العام بصلاحيات ادخال افراد جزائريين الى المجالس البلدية؛

185عمار بوحوش، مرجع سابق.127.

186نفس المرجع.129.

- انشاء مجال بلدية في بعض المدن الكبرى كعنابة الجزائر ووهران؛
- انشاء ميزانية خاصة بالجزائر؛
- تخفيض افراد الجيش الى 21000 جندي.

2.المكاتب العربية:

تعد "المكاتب العربية" (Bureaux Arabes) إحدى أهم الأدوات الاستعمارية التي أسستها فرنسا في الجزائر لضمان السيطرة على المجتمع الأهلي وتثبيت أقدام الاحتلال، خاصة في الفترة الممتدة من إنشائها الرسمي في عام 1844 وحتى سقوط الإمبراطورية الفرنسية الثانية في عام 1870م.

لم تكن المكاتب العربية مجرد مؤسسة إدارية، بل كانت جزءاً لا يتجزأ من المؤسسة العسكرية الفرنسية، أنشئت لتكون حلقة وصل بين السلطة الاستعمارية والسكان الأصليين، ولإدارة "المناطق العسكرية" التي كان يسكنها غالبية الجزائريين، بعيداً عن "الأقاليم المدنية" التي خصصت للمستوطنين الأوروبيين وتهدف الى.[187]

- السيطرة والإخضاع: العمل على إخضاع القبائل للسلطة الاستعمارية وتهدئة الثورات والمقاومات الشعبية؛
- الاستخبارات والتجسس: كانت بمثابة "عيون وآذان" للإدارة الفرنسية، حيث كُلفت بجمع المعلومات عن تحركات القبائل، مراقبة القادة المحليين، ورصد أنشطة الزوايا والطرق الصوفية؛
- إدارة المجتمع الأهلي: تنظيم شؤون السكان المحليين، وتعيين الزعماء المحليين (مثل "آغا العرب") الموالين لفرنسا، لضمان استقرار المنطقة وتسهيل استغلال الموارد؛
- مراقبة الرأي العام: العمل على وأد أي بوادر لمقاومة مبكرة ضد الوجود الفرنسي.

187صالح فركوس، مرجع سابق.199.

3.الهيكل التنظيمي للمكاتب العربية

تم تصميم هذه المكاتب لتكون مرنة وقادرة على العمل في بيئة محلية معقدة. يتكون المكتب عادة من:

- **الرئاسة:** ضابط فرنسي برتبة نقيب (في المكاتب الكبرى)؛
- **الطاقم:** معاونون (ملازمون)، طبيب، كاتب (خوجة)، ومترجم، بالإضافة إلى قوة من "الصبايحية" (الفرسان المحليين)؛
- **الوساطة:** كان هؤلاء الضباط يمتلكون غالباً إلماماً باللغة العربية أو اللهجات المحلية، مما منحهم تأثيراً كبيراً في توجيه السياسة المحلية.

خلال فترة الحكم العسكري، كان للمكاتب العربية سلطة مطلقة في المناطق التي تخضع للقيادة العسكرية، وكانت هذه المكاتب أحياناً تعارض الطموحات المفرطة للمستوطنين الأوروبيين، مما خلق نوعاً من التوتر بين الضباط العسكريين والمستوطنين الذين كانوا يطالبون بإدارة مدنية. ومع سقوط الإمبراطورية الفرنسية الثانية في 1870 وقيام الجمهورية الثالثة، بدأ نفوذ المكاتب العربية يتراجع لصالح "الإدارة المدنية" التي طالما طالب بها المستوطنون لتعزيز سيطرتهم المباشرة على الأراضي والأهالي، وهو ما أدى تدريجياً إلى تفكيك هذا الجهاز وتهميش دوره.

4.فترة الحكم المدني (1870-1962)

عقب هزيمة الامبراطور نابليون الثالث في معركة سيدان 1870م واسره وجنوده من طرف الجيس البروسي، وبذلك سقطت الجمهورية الثانية، وتم اعلان الجمهورية الثالثة في 04 سبتمبر 1870م، قام المستوطنون في الجزائر باسسقاط الحكومة العسكرية، ونصبوا ادارة مدنية في اكتوبر 1870م، وحيتها اصدر ادولف كروميو (Adolphe Cremieux) وزير الداخلية الجديد في حكومة الدفاع الوطني مجموعة مراسيم تاريخية اشهرها[188]:

188.عمار بوحوش، مرجع سابق، 142.

- مرسوم كروميو الخاص باليهود الجزائريين والذي منح الجنسية الفرنسية لحوالي 40000 يهودي من دون بقية الجزائريين؛
- تعديل مرسوم 1848م الخاص يتقسيم الجزائر الى 03 عمالات هي الجزائر، قسنطينة ووهران، لتصبح الجزائر بموجب هذا التعديل الجديد جزءا لا يتجزأ من فرنسا تتكون من 03 اقاليم و20 دائرة و330 بلدية؛
- الغاء منصب الحاكم العام في الجزائر ويُعوض بحاكم عام مدني، يكون مسؤولا عن ثلاث رؤساء عمالات؛
- حصر سلطات القائد العسكري في المناطق العسكرية فقط؛
- يطبق الحاكم العام المعين من قبل مجلس الوزراء سياسة الحكومة في الجزائر؛
- يقوم رؤساء العمالات بانشاء مجالس عامة منتخبة من طرف الفرنسيين، ويمكن لوزارة الداخلية تعيين 06 مسلمين في كل مجلس عام.

عند صدور قانون 22 جويلية 1834 الذي نص على إلحاق الجزائر بفرنسا، قانونيا يعتبر من يعيش على هذه الأرض فرنسيا ايضا، لكن هذا لم يحصل، بل حرم السكان من كل الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وصُنفوا كرعايا"sujets" وبالتالي سقوط صفة المواطنة.

في الوقت الذي يعاني فيه مجمل الشعب الجزائري وينتظر تغييرات ايجابية بعد قيام الجمهورية الثالثة وتحول الحكم في الجزائر الى مدني، وبعد سحق ثورة المقراني (1871)، تحولت السياسة الفرنسية بشكل كامل لصالح المستوطنين، وأسست لنظام قانوني واضح قائم على التمييز.

لعل ما يترجم سريعا هذه العقيدة العنصرية والاستعلائية هي قانون الأهالي (code de l'idigenat)، الذي صدر يوم 26 جوان 1881م وهو عبارة عن مجموعة من القوانيين الاستثنائية والعنصرية التي فرضت على الشعب الجزائري منذ 1847م، يقضي هذا القانون بوضع الجزائريين تحت التصرف الكامل للمستوطنين، وبقي معمولا بهذا القانون الى غاية 1844م، وهذا بعض مما جاء فيه[189].

189.صالح فركوس، مرجع سابق.227.

- تعيين متصرف اداري في معظم البلديات لتطبيق القانون على الجزائريين وحملهم على الطاعة بالقوة والقهر؛
- للوالي سلطة توقيع العقوبات على الأهالي دون محاكمة؛
- للمسؤول الاداري سلطة سجن الأفراد ومصادرة ممتلكاتهم دون حكم قضائي؛
- للمديريات سلطة مطلقة ذات صلاحيات قضائية وصلاحيات الصلح وسجن الافراد ومصادرة ممتلكاتهم؛
- للمحاكم الزجرية سلطة واسعة فيما يتعلق بشؤون الجزائريين.

هذا في مرسوم قانون يكبل الجزائريين ويستعبدهم، ويفقدهم قوتهم وكرامتهم، ناهيك عن مجموعة من السياسات الاستعمارية الأخرى التي بنيت على ابعاد كانت تستهدف الأرض والانسان، غايتها محو الشخصية الوطنية الجزائرية واذابة الكيان الوطني، والتمكين للادماج والاستيطان والفرنسة والصليب ومنه:

1. سياسة الادماج: تقوم هذه السياسة على دمج الجزائر والجزائريين في الكيان الفرنسي، أي عملية اقتلاع للجزائر من جذورها الحضارية، والحاقها "بالمشروع الحضاري" الفرنسي، عن طريق الدمج والربط السياسي والاداري والثقافي واللغوي والديني، ومن اهم مظاهر ذلك ما يلي:

- اصدار مراسيم قانونية تلحق الجزائر بفرنسا، مثل مرسوم 22 جويلية 1834م ومرسوم 04 مارس 1848م والذي ينص على ان الجزائر جزء لا يتجزا من فرنسا؛
- مصادرة الحقوق السياسية والاقتصادية للجزائريين بموجب العديد من القرارات والقوانين، مثل قانون مصادرة اراضي الجزائريين في سبتمبر 1830م، وقرار اكتوبر 1845م وجويلية 1846م ومرسوم 1863م190 ... تحت ذرائع ومسميات مختلفة؛
- التمييز العنصري بين سكان الجزائر، حيث صدر قانون كروميو في 24/10/1870م لتجنيس اليهود، وقانون الاهالي لاستعباد الجزائريين، والذي كان في الأصل عمليا منذ 1847م؛

.25.(1979,Charles,R.Ageron,histoire de l’Algerie contemporaine,t2, (paris190

- تشجيع عملية الاستيطان، وتسهيل عملية نقل ملكية الأراضي الى المستوطنين ودعمهم ماليا وحمايتهم؛
- منح الجنسية الفرنسية لمختلف العناصر الاوربية المستقدمة الى الجزائر في اطار سياسة الاستيطان وتثبيت عملية الاحتلال.

2.سياسة الاستيطان: كان من اهداف الاحتلال الفرنسي في الجزائر تعويض ما خسرته فرنسا من مستعمرات في قارة امريكا، من ثمة عجلت فرنسا بسياسة الاستيطان من خلال تشجيع "اوباش اوربا" ومجرميها على الهجرة نحو الجزائر، مع ضمان حمايتهم ومساعدتهم ماديا، بتقديم الأرض والمال والحماية، حيث ارتفع عددهم من 25000 مستوطن سنة 1832م الى 750 الف من الفرنسيين و189 الف من الأوربيين سنة 1911م[191]، وكانوا قد استولوا على جل الأراضي الخصبة التي تم انتزاعها ومصادرتها من الجزائريين، وبالمقابل هُجر الجزائريون نحو الجبال، ونتيجة لهذه السياسة التي حرمت الجزائريين من أرزاقهم وأملاكهم، حلت بهم مجاعة رهيبة سنتي 1867 و1868م والتي خلفت هلاك اكثر من 10% من السكان[192].

3.سياسة التنصير: لقد كان من دوافع الحملة الفرنسية على الجزائر التمكين للصليب قبر الهلال، فكان اول المباركين والمهنئين للجنرال د يبرمون عند جلوسه على كرسي الداي في قصر الجنينة، رجل الدين المرافق للحملة، حيث قال له " باركك الرب لقد فتحت بابا للمسيحية بافريقيا". فقامت سلطات الاحتلال بمصادرة كل الأملاك والأوقاف الاسلامية والتضييق على الجزائريين في ممارسة شعائرهم، وقطع الروابط والصلات بكل ما يمت الى هويتهم الاسلامية، املا في ابادة الأمة روحيا، وكان من مظاهر هذه السياسة ما يلي:

* الحاق الشؤون الاسلامية بادارة الاحتلال لتسييرها ومراقبتها؛
* مراقبة كل النشاطات الدينية، والتي كانت لا يسمح ببعضها الا بترخيص؛

191.فرحات عباس، ليل الاستعمار، ترجمة، ابوبكر رحال.(الجزائر: المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، 2005).96.95.

192 Charles, Andre J.histoire de l'Algerie contemporaine,(paris : presses universitaires,1979).19.

* مصادرة المؤسسات الدينية والاسلامية وتحويلها الى ثكنات وكنائس ومستشفيات واسطبلات؛
* الاستيلاء على الأوقاف الاسلامية؛
* مطاردة الأئمة والدعاة واخضاع القضاء الاسلامي لنظيره الفرنسي؛
* بناء الكنائس ومنها اسقفية الجزائر في 08 اوت 1838م، وتعزيز عمل جمعيات الآباء البيض " لافيجري" التي تهدف الى تنصير الجزائر ثم كامل القارة الافريقية وتشجيع عمليات التبشير والتنصير، حيث يقول لافيجري: " **ان عهد الهلال في الجزائر قد ولى وقبر، وان عهد الصليب قد بدأ، وانه سيستمر الى الأبد [...] وان علينا ان نجعل ارض الجزائر مهدا لدولة مسيحية مضاءة ارجاؤها بنور مدنية منبع وحييها من الانجيل**"[193]

4.سياسة الفرنسة: شمل المشروع الاستعماري في شقه المتعلق بالهوية عنصر الفرنسة ايضا، حيث عملت سلطات الاحتلال منذ البداية على طمس معالم ومظاهر اللغة العربية والانتماء الحضاري العربي الاسلامي، من خلال إبعاد اللغة العربية نهائيا، وجعل الفرنسية تحل محلها تدريجيا من خلال:[194]

* جعل جميع المعاملات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعسكرية والقضائية... باللغة الفرنسية؛
* اعتبار اللغة العربية لغة اجنبية، لا تدرّس في المدارس الحكومية؛
* القضاء على جميع المؤسسات الوطنية " مدارس، زوايا، كتاتيب..." لمنع التعليم باللغة العربية؛
* اعطاء الشوارع والمؤسسات اسماء فرنسية، في خطوة تهدف الى فرنسة المحيط، وكذا تغيير اسماء البلدات والمدن والقرى من الاسماء العربية والمازيغية الى اسماء فرنسية؛
* تشويه التاريخ الوطني عن طريق تحريفه والتشكيك فيه؛
* تدمير الكتب والمخطوطات الجزائرية؛
* تقوية وسائل الاعلام الفرنسية لتنفيذ مخططات الاحتلال.

193ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثالث،(بيروت:دار الغرب الاسلامي، 1998).383.
194صالح فركوس، مرجع سابق.206.

الأكيد ان ردة فعل الشعب الجزائري كانت قد ابانت عن صمود اسطوري، لمواجهة الاحتلال بكل سياساته واستراتيجياته ومقاومة المسخ والذوبان، من خلال المقاومات المسلحة منذ لحظة وصول الحملة الفرنسية إلى ميناء سيد فرج، والتي استمرت طيلة القرن التاسع عشر واكثر من عقدين من القرن العشرين، وان فسلت في استعادة السيادة الوطنية، فقد كرست رسالة الجهاد واوصلها كل جيل الى الجيل الذي يليه، والى غاية جيل نوفمبر العظيم، ففي مطلع القرن العشرين ونتيجة لتحولات داخلية ومتغيرات جيوسياسية دولية، انتهج الجزائريون اسلوبا جديد من المقاومة، قد يختلف في ادواته وآلياته، لكنه لا يختلف عن اهداف وغاية كل المقاومات الشعبية المسلحة التي سبقته.

المحور الخامس: الحركة الوطنية الجزائرية:

ملاحظة:"يُعتبر هذا المحور انتقاليا بين محاور ومحاضرات السداسي الاول والسداسي الثاني، ولكون المقياس سنوي، فهو في الغالب يشكّل المحور الأول من السداسي الثاني"

كان قد تزامن مع المقاومة الشعبية المسلحة حركة مقاومة فكرية انطلقت عشية سقوط العاصمة، عن طريق "لحنة المغاربة" كحركة سياسية بقيادة حمدان بن عثمان خوجة واحمد بوضربة، من خلال نداءات وعرائض للسلطات الاستعمارية بالجزائر،والى السلطات الفرنسية المركزية للمطالبة باحترام بنود "معاهدة الاستسلام"، كما طالبت اللجنة بجلاء الجيش الفرنسي وإقامة تحقيق في الجرائم والاعتداءات والمظالم المرتكبة في حق الجزائريين.

هذه الحركة السياسية أعقبها حراك فكري ومقامة تزعمها تياران؛ هما تيار المحافظين من أمثال عبد القادر المجاوي ،وعبد الحليم بن سماية، وابن ميهوب، حمدان لونيسي، عمر راسم... وغيرهم، وهم شخصيات ذات ثقافة عربية إسلامية، حيث دعا هذا التيار إلى معارضة ومحاربة الفكر الغربي وسياسة التجنيس والتجنيد الإجباري، وبصورة عامة المشروع الاستعماري، الذي يهدف إلى تغيير الواقع الجزائري على جّل الأصعدة.

أما التيار الثاني، فهو تيار النخبة الذي يضم الفئة المثقفة ثقافة غربية فرنسية، كأحمد بن إسماعيل وبوضربة وغيرهم، وفي مجملهم محامون وأطباء وصيادلة... كانوا يدعون إلى التجنس والإدماج والتمتع بالحقوق السياسية والاجتماعية والاقتصادية مع احتفاظ الجزائريين بأحوالهم الشخصية "مسلم فرنسي"، كما شهدت المرحلة ظهور العديد من الجرائد، كجريدة الجزائر لعمر راسم 1908م، وجريدة الفاروق لعمر بن قدور 1913م، ...

بالإضافة إلى الجمعيات والنوادي التي ساهمت كثيرا في بناء منظومة الوعي الوطني وبث روح النهضة والشعور الوطني... مثل الجمعية الراشيدية 1902م ونادي صالح باي 1909م بقسنطينة، والجمعية التوفيقية 1908م بالجزائر العاصمة..[195]

---

195 عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1962-1830)، الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية،1995. ص.ص.270.279.

كان هذا التحوّل قد تأثر بـ:

- السياسة الاستعمارية "القضاء على السيادة الوطنية، حرب الإبادة، التمييّز العنصري، قانون التجنيد الإجباري، ومحو الشخصية الوطنية..."
- انتشار الوعي نتيجة توسع نشاط الفكري الإسلامي؛
- العوامل الخارجية: مثل حركات الإصلاح الديني في المشرق العربي، ودور الهجرة الجزائرية في الشرق والغرب والحرب العالمية الأولى، وعودة المجندين الجزائريين والطلبة الذين زاولوا تكوينا في المشرق.

خاتمة

تظهر القراءة المتفحصة لتاريخ الجزائر السياسي، أن الكيان الوطني الجزائري لم يكن وليد الصدفة، بل كان تجسيدا لدولة موغلة في القدم ذات سيادة ومؤسسات متجدرة، انطلاقا من نشأة الممالك النوميدية ومواجهة الغزو الأجنبي، مرورا بالفتح الإسلامي والدول الوطنية التي تعاقبت على المنطقة، وصناعة تفاعل حضاري وديني في عهد الرستميين والحماديين والموحدين والزيانيين، والتي جسدت السيادة والاستقلال على الرغم من التحديات الداخلية والخارجية.

مهدت هذه التجارب السياسية المتعاقبة لظهور الجزائر كدولة مركزية مكتملة الاركان في العصر الحديث، مكرسة لمنطق التفوق البحري في المتوسط، واخضاع الأوربيين لذلك، ذلك الذي ينفي بالتاريخ والجغرافيا ان الجزائر لم تكن ارضا خالية غداة الغزو الفرنسي لها، بل على العكس، واجه الاحتلال كيانا وطنيا راسخا ترجم في المقاومة الضروس والحركة الوطنية، على الرغم من المشروع الاستعماري الذي استهدف الأرض والإنسان في محاولة لضرب الشخصية الجزائرية ومحو الكيان الوطني.

قائمة المراجع

المصادر:

1. الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، الميثاق الوطني، 1986.

أولاً: المراجع باللغة العربية

2. بوحوش، عمار. التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962. الجزائر: دار البصائر للنشر والتوزيع، 2015.
3. بوروبة، رشيد، وآخرون. الجزائر في التاريخ: العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
4. بوعزيز، يحي. الموجز في تاريخ الجزائر: الجزائر القديمة والوسطى. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1992.
5. حمودة، الحميد حسين. تاريخ المغرب في العصر الإسلامي: من الفتح الإسلامي وحتى قيام الدولة الفاطمية. القاهرة: الدار الثقافية للنشر، 2006.
6. دراج، محمد. مذكرات خير الدين بربروس. الجزائر: دار الأصالة للنشر والتوزيع، 2013.
7. سرور، محمد جمال الدين. تاريخ الدولة الفاطمية. مصر: دار الفكر العربي، د.ت.
8. سعد الله، أبو القاسم. تاريخ الجزائر الثقافي. ج. 3. بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1998.
9. سعيدوني، ناصر الدين. النظام المالي للجزائر في الفترة العثمانية. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1979.
10. سعيدوني، ناصر الدين. ورقات جزائرية: دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني. الجزائر: دار البصائر، 2008.
11. سعيدوني، ناصر الدين، والبوعبدلي، الشيخ المهدي. الجزائر في التاريخ. الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب، 1984.
12. سليمان نوار، عبد العزيز. الشعوب الإسلامية: الأتراك العثمانيون، الفرس، مسلمو الهند. بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1973.

13. ابن خلدون، عبد الرحمان. كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر. ج. 7. بيروت: دار الفكر للنشر والطبع والتوزيع، 2000.
14. ابن خلدون، عبد الرحمان. مقدمة ابن خلدون. تحقيق إيهاب محمد إبراهيم. القاهرة: مكتبة القرآن، 2006.
15. العربي، إسماعيل. المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982.
16. العربي، خالد. تلمسان من الفتح الإسلامي إلى قيام الدولة الزيانية. قسنطينة: دار الألمعية للنشر والتوزيع، 2011.
17. علام، عبد الله علي. الدولة الموحدية بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي. مصر: دار المعارف، 1971.
18. عباس، فرحات. ليل الاستعمار. ترجمة أبو بكر رحال. الجزائر: المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والإشهار، 2005.
19. فركوس، صالح. المختصر في تاريخ الجزائر: من عهد الفينيقيين إلى خروج الفرنسيين (814 ق.م–1962). الجزائر: دار العلوم للنشر والتوزيع، 2002.
20. قنان، جمال. نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر الحديث: 1500–1830. الجزائر: المؤسسة الجزائرية للطباعة، 1987.
21. الجيلاني، عبد الرحمان بن محمد. تاريخ الجزائر العام. ج. 3. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1994.
22. المدني، أحمد توفيق. كتاب الجزائر. الجزائر: المطبعة العربية، 1931.
23. الميلي، مبارك بن محمد. تاريخ الجزائر في القديم والحديث. الجزائر: دار الكتاب العربي، 2011.
24. نايت بلقاسم، مولود قاسم. شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل 1830. ج. 1. الجزائر: دار البعث للطباعة والنشر، 1985.
25. النجار، عبد المجيد. المهدي بن تومرت. لبنان: دار الغرب الإسلامي، 1983.

26. هلال، عمار. أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830–1962). الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1995.

ثانياً: المراجع باللغة الأجنبية

1. Ageron, Charles-Robert. Histoire de l'Algérie contemporaine. Tome 2. Paris: Presses Universitaires de France, 1979.
2. Julien, Charles-André. Histoire de l'Algérie contemporaine. Tome 1. France: Presses Universitaires de France, 1964.

ثالثاً: المقالات العلمية

1. بوسيف، برحو. "الأسرة الزيرية الحاكمة في غرناطة." مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا، مج. 5، ع. 1 (2022): 239.
2. جليد، خولة، ونوار، نسيم. "ركائز الانتصار والتمكين في معركة الأرك الكبرى." مجلة البحوث التاريخية، مج. 8، ع. 2 (2021).
3. زيتوني، حمزة إسحاق. "تطور مهام البحرية الجزائرية من الجهاد البحري إلى القرصنة البحرية." المجلة التاريخية الجزائرية (2020).
4. رابعاً: أعمال الملتقيات العلمية
5. السليماني، أحمد. "تأملات في تاريخ الجزائر القديم: ظهور الكيان الوطني." مداخلة مقدَّمة في الملتقى الوطني الرابع المنظَّم من طرف جمعية التاريخ والمعالم الأثرية لولاية قالمة. قالمة، 1–4 أبريل 1987.

خامساً: المصادر الإلكترونية

1. "المقاومات الشعبية." الجزائر المجيدة. تاريخ الاطلاع: 8 أبريل 2026. https://gloriousalgeria.dz.
2. خماش، نجدة. الموسوعة العربية. تاريخ الاطلاع: 8 أبريل 2026. https://arab-ency.com.sy.

جامعة 8 ماي 1945 قالمة
نيابة العمادة
لما بعد التدرج والبحث العلمي
والعلاقات الخارجية
كلية الحقوق والعلوم السياسية

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	02
مدخل: الأمة الجزائرية: الأصالة والعراقة	03
المحور الأول: الجزائر في العصر القديم	05
ظهور الكيان الوطني: الجزائر النوميدية والعهد الفنيقي	05
الاحتلال الأجنبي للجزائر	11
الاحتلال الروماني	11
الاحتلال الوندالي	13
الاحتلال البيزطي	14
المحور الثاني: الجزائر في العصر الوسيط	16
الفتح الإسلامي لبلاد المغرب	16
الدول الإسلامية في الجزائر	20
الدولة الرستمية	20
الدولة الفاطمية	29
الدولة الزيرية الحمادية	36
الدولة الموحدية	41
الدولة الزيانية	52
المحور الثالث: الجزائر في العصر الحديث	63
الجزائر في ظل الحكم العثماني	63
البحرية الجزائرية والمعاهدات الدولية	74

المجلس العلمي
لكلية الحقوق
والعلوم السياسية

جامعة 8 ماي 1945 قالمة
المجلس العلمي
لكلية الحقوق
والعلوم السياسية

المحور الرابع: الاحتلال الفرنسي للجزائر	**86**
السياق الداخلي والسياق الدولي للاحتلال الفرنسي للجزائر	**86**
مقاومة الاحتلال الفرنسي للجزائر	**99**
السياسة الاستعمارية في الجزائر	**114**
المحور الخامس: الحركة الوطنية	**122**
الخاتمة	**124**
المراجع	**125**
فهرس المحتويات	**128**

جامعة 8 ماي 1945 قالمة
نيابة العمادة
لما بعد التدرج والبحث العلمي
والعلاقات الخارجية
كلية الحقوق والعلوم السياسية